مِن روائعِ الإسلام

تقرير لكلمات المرجع الديني

سماحة آية الله العظمى

السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله

المقدّمة

اختلف شهر رمضان العظيم للسنة الهجرية ١٤٤١ (٢٠٢٠م) عن السنين الماضية. فقد حلّ الشهر الكريم والبشرية في أغلب دول العالم ابتليت بوباء كورونا، فتمّ حضر التجمّعات وعطّلت الصلوات جماعة والمراسيم الدينية، وكان أكثر ما يؤلم هو غلق المراقد المقدّسة لأهل البيت عليهم السلام، حيث أوجد هذا الأمر أجواء حزينة جداً. وكان من المعهود في ليالي شهر رمضان العظيم بكل سنة، انّه يستضيف المرجع الديني سماحة آية الله العظمى السيّد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله، في بيته المكرّم بمدينة قم المقدّسة، العلماء وأساتذة الحوزة العلمية ومحبّي المعارف والعلوم الإسلامية، ولكن هذه الجلسات العلمية المفعمة بأجواء روحية لم يتسنّى لها الانعقاد بسبب الظروف الحرجة.

لأجل جبر الفراغ الحاصل، قام جمع من الناشطين في بيت المرجعية، بالرجاء من سماحة المرجع الشيرازي دام ظله على أن يجعل بديلاً عن الجلسات العلمية في ليالي شهر رمضان العظيم، بأن يقوم سماحته دام ظله بإلقاء سلسلة محاضرات يكون محورها مواضيع عديدة كالأخلاق والتاريخ. ولله الحمد قام سماحته بإلقاء محاضراته القيّمة في كل ليلة باللغتين العربية والفارسية،

في أوقات مختلفة، وتم بثّها بالبث المباشر عبر القنوات الفضائية والإعلامية في مواقع التواصل الاجتماعي. وكذلك تمّ تقرير نصوص المحاضرات ونشرها مكتوبة، ونشر فقرات منتخبة منها، أيضاً.

كان محتوى محاضرات سماحته دام ظله كثيرة النفع مع مضامين سامية، مما أثارت إعجاب الخواصّ والعوام. فقد قام سماحته دام ظله بالبحث والتنقيب في زوايا عديدة من تاريخ الإسلام، وهي زوايا قلّ نصيبها من البحث، ولعلّه نادراً ما سمع بها الناس أو علم بها. فقد كان الموضوع الرئيسي لمحاضرات سماحته دام ظله، هو تبيّين الفرق الشاسع والمجهول والفضيع بين الإسلام الذي أتى به نبيّ الرحمة مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والإسلام الذي أُجبر الناس عليه في قرون متمادية من قبل الحكّام والسلاطين المتلبّسين بلباس الإسلام. ولو يعلم العالم والبشرية اليوم هذا الفرق، ويطبّقوه على واقع حياتهم، فلا شكّ ستكون نتيجته الإصلاح وحلّ المشاكل المستعصية وزوالها، إضافة إلى قلّة تعرّض الناس إلى الأزمات والآلام التي يعانون منها في الوقت الحاضر.

ولذا، سعى القسم الثقافي في بيت سماحة المرجع الشيرازي دام ظله إلى تقرير المحاضرات المذكورة القيّمة النافعة، بعد أن نالت الاستحسان والإقبال من المستمعين والمشاهدين، وأ، يقوم بإخراجها في كتاب قيّم، لكي ينتفع الجميع من الحقائق التي ذكرها سماحته دام ظله ويعملوا على إحيائها.

الكتاب الذي بين يدك ـ عزيزي القارئ ـ هو نتيجة ذلك المسعى الذي تمّ في فترة قصيرة، ويضمّ بين دفتيه توجيهات سماحة المرجع الشيرازي دام ظله في تبيين الحقائق الإسلامية المغيّبة.

ضمّ الكتاب تقارير المحاضرات في ليالي شهر رمضان العظيم كلّها، سوى ليالي القدر المباركة. ولأجل عدم الخروج عن المألوف والمعهود من جمال وسلاسة وحسن التبيين في كلام سماحة المرجع الشيرازي دام ظله، أخرجنا الكتاب بالطريقة نفسها التي استعملها سماحة المرجع الشيرازي دام ظله في إلقاء محاضراته القيّمة في ليالي شهر رمضان العظيم.

أملنا أن ينال هذا الكتاب القيّم القبول والرضا من المقام الشامخ والرفيع لمولانا بقيّة الله الأعظم الإمام المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف. وأن ينتفع به القرّاء الكرام، ويكون ذخراً لنا في يوم الحساب والجزاء، والله وليّ التوفيق.

ذو القعدة الحرام ١٤٤١ للهجرة

قم المقدّسة

الليلة الأولى

معرفة الفرائض والعمل بها

هذه أوّل ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، وقد ورد عن المعصومين عليهم السلام أدعية لهذه الليلة، ومن ذلك هذه الجملة من الأدعية:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْنا مِمَّنْ نَوى فَعَمِلَ ... وَأَعِنَّا عَلى ما أَفْتَرَضْتَ عَلَيْنا مِنَ العَمَلِ حَتَّى يَنْقَضِيَ عَنَّا شَهْرُكَ هذا وَقَدْ أَدَّيْنا مَفْرُوضَكَ فِيْهِ عَلَيْنا»[1]

لله عزّ وجلّ فرائض على العباد. فرائض إيجابية تسمّى بالواجبات، وفرائض سلبية تسمّى بالمحرّمات، أي يجب تركها. والإيجابيات يعني يجب العمل بها والإتيان بها.

النيّة للعمل

في هذه الجملة من الدعاء يسأل الإمام عليه السلام الله عزّ وجلّ ويطلب منه أن يجعله ممن نوى فعمل. فالإنسان ينوي شيئاً ولكن ذلك الشيء ربما يخالف بعض شهواته فلا يعمل به.

اللهم إنّا نوينا في شهر رمضان ما فرض علينا، فوفّقنا واجعلنا ممن إذا نوى عمل بما نوى حتى ولو كان فيه بعض الصعوبة، وحتى لو كان مخالفاً لبعض الشهوات. وبعبارة أخرى: نعم للقناعات، ولا للشهوات.

---

١. عوالم العلوم، ص٢٢٨.

لقد جعل الله عزّ وجلّ في الإنسان مزيجاً من العقل والشهوات، وكثيراً ما في عقل الإنسان من عقيدة وفكر، يخالف شهوات الإنسان. فالنفس الأمّارة بالسوء هي في داخل الإنسان وتأمره بشدّة (أمّارة)، ودائماً تأمر وبكثرة تأمر. وكثير ما يدركه العقل، أي قناعة الإنسان، يخالف ما يشتيهه الإنسان، وما تشتهيه نفسه، فينوي لأنّه مقتضى قناعته ودركه وعقله، ولكنه لا يعمل بعد ذلك.

فرائض الشهر

الفريضة في شهر رمضان ليست واحدة ولا ثنتين ولا عشر ولا عشرين ولا خمسين، وتختلف الفرائض بالنسبة إلى مختلف الناس. فالصيام فريضة على من هو مكلَّف بالصيام، والصلوات فريضة، ولكن هناك فرائض أُخر، كثيرة وكثيرة. ومنها للإنسان مع المجتمع الذي يعيش فيه، ومع عائلته، ومع والديه، ومع أولاده، ومع الطاقات التي جعلها الله تحت قدرته، كأن يكون عنده أرض وزراعة وبيوت وأموال. فكل ما فرضه الله تعالى على هذا الإنسان، نقول عنها: إلهي أعنّا.

عادة تكون الإعانة في المورد الذي عزم الإنسان على شيء، ولكن لا يستطيع أن ينفرد بالقيام به ويحتاج إلى معين. وأما إذا لم يك عند شخص عزم وليس عنده نيّة ولا إرادة، فأين سيكون مورد الإعانة؟

قول الإمام عليه السلام: وأعنّا على ما افترضت علينا من العمل، يعني: إلهي ما افترضته علينا من العمل، أي أعمال الإنسان، مثل عمل عينه، وعمل لسانه، وعمل أُذنه، وعمل لمسه. فهذه الأعمال فيها مفروضات وواجبات، وفيها مفروضات يجب تركها، وهي المحرّمات.

وقوله عليه السلام: حتى ينقضي عن شهرك هذا، أي حتى ينتهي شهر رمضان، فأعنّا من الآن، من أوّل ليلة من شهر رمضان إلى آخر ليلة منه، وقد أدّينا مفروضك فيه علينا. أي إلهي أعنّا بشكل ينتهي شهر رمضان ونحن قد أدّينا ما افترضت فيه علينا.

لنعظ أنفسنا بأنفسنا

في حديث شريف عن الإمام الجواد عليه السلام أنّه قال: (وواعظ من نفسه). فقد يكون شخص آخر يعظ الإنسان، وقد يكون الإنسان هو الذي يعظ نفسه، ويعني انّ القناعات التي عنده والأمور التي مقتنع بها بعقله، يعرف صحّتها ولزومها. فهذا الإنسان هو يعظ نفسه بهذه الأمور ويلقّن نفسه ويؤكّد على نفسه. فإذا لا تكون هذه الأمور، فإمّا لا يوفّق الإنسان أصلاً، أو يكون توفيقه قليلاً.

من الآن وفي أوّل ليلة من شهر رمضان، ليعزم الإنسان على ذلك ويستعين بالله عزّ وجلّ ويتوسّل بالمعصومين عليهم السلام، الذين جعلهم الله الوسيلة إليه، حتى يوفّق، وإن لم يوفّق مئة بالمئة، يوفّق بشيء يقرب من المئة، ولكن هذا الأمر بحاجة إلى عزم، وبحاجة إلى تصميم، وبحاجة إلى إرادة، في هذه الليلة.

المفروضات على الرجل والمرأة

المفروضات على كل الإنسان في شهر رمضان العظيم كثيرة. فالرجل عليه مفروضات في طول السنة وبالخصوص في شهر رمضان. وفي شهر رمضان يكون أجر الطاعة لله عزّ وجلّ وأداء المفروضات، وترك المحرّمات، مضاعفاً. ففي طول السنة يلزم على الإنسان أن تكون له إرادة بأن يعمل

بالقناعات، ولا ينصهر في الشهوات. وأما في شهر رمضان فهو مورد ومركز أهم من بقيّة الشهور.

كذلك المفروضات على المرأة بالنسبة إلى زوجها وبالنسبة إلى أولادها وبالنسبة إلى والديها وبالنسبة إلى مجتمعها. فكل من الرجل والمرأة، عليه مفروضات، خاصّة، ومفروضات إيجابية، يعمل بها، ومفروضات سلبية يتركها وهي المحرّمات.

المفروضات على الجميع

الوالدان عليهما مفروضات خاصّة بهما، وهكذا الأولاد، وعلى الحكّام مفروضات بالنسبة للشعوب، والشعوب عليهم فرائض بالنسبة للحكّام، والجيران بعضهم مع بعض، والأقرباء بعضهم مع بعض، والبائع بالنسبة للمشتري، والمشتري بالنسبة إلى البائع، والجار بالنسبة إلى جاره. فما فرضه الله تعالى على الإنسان في شهر رمضان، عليه أن يعرفها، بأنّها ما هي، وفي الوقت نفسه يستعين بالله حتى يعينه الله عزّ وجلّ وحتى يؤدّي ما فرضه الله عليه، (وينتهي شهر رمضان وقد أدّينا مفروضك فيه علينا)، أي في شهر رمضان. وإذا لم يصمّم الإنسان في هذه الليلة، وإذا لم تكن له إرادة قويّة، سيكون توفيقه أقلّ.

الإعانة للمورد اللائق والمناسب

إنّ إعانة الله سبحانه وتعالى تكون بالنسبة للمورد اللائق والمناسب عادة. فالإنسان الشلل مثلاً، الواقع على الأرض ولا يستطيع أن يتحرّك، هل يقول لأحد: أعنّي حتى أقوم؟ فهذه الإعانة لا تمكنها أن تفعل شيئاً، إلاّ إذا يقوم

شخص آخر برفع هذا الإنسان الشلل رفعاً كاملاً. وأما الإنسان الذي يوجد ضعف في قواه، كأن يكون ألماً في رجله أو في ظهره، فهذا يحتاج إلى معين. وكذلك يجب أن تكون إرادة حتى تتحقّق من الله عزّ وجلّ الإعانة ويكون لها مصداق.

معرفة الفرائض

ربّ سائل يسأل: ما هي الفرائض على الإنسان؟ الفرائض هو الصوم على الإنسان، فيمن يجب عليه الصوم. وهناك مفطرات توجب بطلان الصوم، كالأكل والشرب متعمّداً وبدون نيسان، فهذا مما يفطر الصوم ويجب قضاؤه. وهناك محرّمات تحجب قبول الصيام، وهناك مكروهات تكون سبباً لضعف أجر الصوم. فيوجد في الأحاديث الشريفة، وكذلك يذكر الفقهاء في الرسالة العملية أنّه: يستحبّ للصائم أن يتعطّر، ويكره له شمّ الريحان. فالصائم الذي يخرج من البيت للشراء والبيع أو السفر وغيرها من الأمور، يستحبّ له أن يكون متعطّراً، ويكره له شمّ الريحان وهو الورد. وقال بعض الفقهاء: الفرق أنّه عندما يشمّ الصائم الريحان يتلذّذ هو فقط، واللذّة في حال الصوم وفي نهار شهر رمضان ليست مطلوبة، أي اللذّة الشخصية. وأما عندما يتعطّر فسيجعل هذا العطر المجتمع أحسن تآلفاً وتعاضداً. ولذا كان التعطّر للصائم مستحبّاً، وشمّ الريحان وهو الورد مكروهاً، وهذه درجات.

ما يمنع قبول الصيام

إذن على الإنسان أن يتعلّم هذه الأمور، مثل المفطرات التي تبطل الصيام، والمحرّمات التي لا تبطل الصيام، ولكن تمنع قبول الصيام. فيوم القيامة، يرى

الإنسان الذي أتى بالمحرّمات غير المفطرات، مثل محرّمات النظر، ومحرّمات اللسان، ومحرّمات السمع، يرى صومه وصيامه غير مسجّلاً في حسناته، أي غير مقبول. فعلى الإنسان أن يعلم هذه المحرّمات عليه.

في الحديث الشريف: أنّ امرأة بمحضر رسول الله صلى الله عليه وآله، سبّت جارية لها. وتطلق كلمة الجارية في اللغة العربية على البنت غير الكبيرة، أي التي عمرها ليس كثيراً، وتطلق على الأَمَة أيضاً. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم أنّ هذه المرأة صائمة وهي سبّت جاريتها بمحضره، فعرض صلى الله عليه وآله عليها الطعام. فقالت: يارسول الله أنا صائمة! فقال لها: كيف أنت صائمة وقد سببتي جاريتك؟

ماذا يصنع سبّ الجارية؟ إنّه يبطل قبول الصوم، ولا يبطل أصل الصوم. فـ(**إنّما يتقبّل الله من المتّقين**)[1]. فالصائم الذي يسبّ حراماً، أي السبّ الحرام، هذا الإنسان ينتفي قبول صومه، ولا يُقبل.

كنز من الفضائل

هذه الليلة هي أوّل ليلة من شهر رمضان، ليعزم الإنسان على العمل بالمفروضات. فالأدعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، ومنها الأدعية في شهر رمضان، وأدعية الليلة الأولى منه، هي كنز وكنز من الفضائل. والمهم على الإنسان أن يقرأ هذه الأدعية بالمقدار الذي يمكنه وفي الوقت نفسه يتأمّل في الجملة، ولا يقرأ الدعاء مسترسلاً، وبدون توجّه إلى المعاني، لأنّ الدعاء معناه أنّ الإنسان يتكلّم مع الله عزّ وجلّ.

---

١. سورة المائدة، الآية ٢٧.

إنّ الأئمة المعصومين عليهم السلام في الأدعية الواصلة عنهم، قد يكونون هم دعوا الله عزّ وجلّ، وقد يكون أنّهم عليهم السلام علّموا الدعاء لبعض أصحابهم. وبالنسبة إلينا لا فرق بين الأدعية التي هم عليهم السلام دعوا الله عزّ وجلّ بها، كدعاء أبي حمزة الثمالي الذي يرويه الأخير عن الإمام السجّاد عليه السلام. فالإمام عليه السلام هو كان يقرأ هذا الدعاء، وهو كان يدعو الله عزّ وجلّ بهذه الجملة الموجودة في الدعاء. وقد تكون هناك أدعية أمر المعصومون عليهم السلام بها للمؤمنين والمؤمنات.

التأمّل بقراءة الأدعية

إذن، من المهم، عندما نقرأ نحن هذا القسم من الدعاء الذي صدّرنا به الحديث في هذه الليلة، أن نتأمّل في معانيه، وأنّه ماذا نطلب من الله عزّ وجلّ، وماذا نريد منه تعالى، بالمقدار الذي يمكن لكل شخص.

إذا عزم الإنسان في هذه الليلة، يوفّق بعض الشيء، كثيراً أو قليلاً. وأمّا إذا لم يعزم فسيكون التوفيق عنده، إما مسلوباً، أو قليل جدّاً.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا وجميع المؤمنين والمؤمنات، في كل مكان، لأن نعزم ونصمّم بإرادة قويّة، في هذه الليلة، على أن نعمل بالفرائض، ونتعلّم الفرائض، حتى نستطيع أن نعمل بها.

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

الليلة الثانية

الصوم الرفيع

بالنسبة للصيام، ورد عن أهل البيت عليهم السلام أحاديث متواترة، ومن ذلك، حديث سيّدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، قالت: (**ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه**)[1].

مراتب قبول الصيام

كل الصيام، وبالخصوص صيام شهر رمضان الذي له فضائل خاصّة وأجر خاص ودرجات خاصّة، يكون هناك مفطرات توجب بطلان الصوم، وتوجب قضاؤه إذا كان الصوم واجباً. وهذه المفطرات العشرة المذكورة في الكتب الفقهية والرسائل العملية، إذا أتى الصائم بإحداها لا عن نيسان، بل عمداً، يبطل صومه.

أما هناك مراتب القبول للصيام، ومراتب تسجيل هذا الصيام والثواب على هذا الصيام، يوم القيامة. والقبول بحاجة إلى ترك لكل المحرّمات، حتى لغير المفطرات العشرة.

كل المحرّمات توجب حبط الصوم، وحبط ثواب الصوم، (**إنّما يتقبّل الله من المتّقين**). فإذا أتى الإنسان بحرام في حال الصوم، وإن لم يك مفطراً، ولكن هذا يوجب حبط صومه إذا لم يترك.

---

١. بحارالأنوار، ج٩٣، ص٢٩٥.

كما هناك مرتبة عالية جدّاً، وهي ترك المكروهات حال الصوم. فبعض الأشياء التي لا يستحقّ الإنسان عليها العقاب، وبعض الأشياء لم يحرّمها الله عزّ وجلّ، وإنّما يكره الله تلك الأشياء، ويعبّر عنها في الروايات والكتب الفقهية بـ(المكروهات). فإذا ترك الإنسان كل المحرّمات وترك كل المكروهات، في وقت الصوم وفي طول لحظات الصوم، فهذا الصوم يكون له درجة رفيعة.

ملكة ترك المحرّمات والمكروهات

يمكن للإنسان أن يحصل على هذه الملكة، أي ترك كل المحرّمات وكل المكروهات، بأن يلزم عليه أن يعلم ما هي المحرّمات، وما هي المكروهات. ومن جملة ذلك الروايات الشريفة، ومنها الرواية المرويّة عن مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام التي ذكرناها آنفاً، حيث كان مما قالته عليها السلام: (**ما يصنع الصائم بصيامه**). فالذي يصوم، ويترك الأكل والشرب وسائر المفطرات، ولكن يأتي ببعض المحرّمات، فما يصنع بهذا الصيام؟ وما الفائدة من هذا الصيام؟ وهذا النوع من الصيام هو يسقط التكليف عنه فقط، ولا يجب قضاؤه.

(**فما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن**) ومعنى يصن يحفظ، أي لم يحفظ لسانه وسمعه وبصره وجوارحه. فإذا لم يأتي بمحرّمات اللسان مثل الكذب والغيبة والتهمة والنميمة ولم يؤذي الآخرين بلسانه، ويحفظ لسانه عن المحرّمات وعن المكروهات، ويحفظ سمعه عن المحرّمات والمكروهات، ويحفظ بصره عن المحرّمات والمكروهات، أي لا ينظر إلى ما لا يجوز وما يحرم عليه النظر، ويحفظ جوارحه، أي يحفظ كل أعضائه، ولا يأتي بشيء من المحرّمات والمكروهات.

الصوم الرفيع

في الوقت الذي يصوم فيه الإنسان ويمتنع عن الأكل والشرب وسائر المفطرات، فليجعل هذا الصوم صوماً له مرتبة رفيعة، بترك المحرّمات وترك المكروهات. وهذا الشيء قد يصعب، ولكن عندما ينتهي شهر الصيام، يكون هذا الإنسان قد أدّى ما عليه بمرتبة رفيعة، وفي الآخرة لا يحزن كثيراً، أو لا يحزن أصلاً، إذا كانت مراقبته ومحافظته جيّدة وجامعة.

إنّ كل أعضاء الإنسان، من بصره وسمعه واستشمامه وفمه وجلده ويده ورجله، معرّضة للمحرّمات، كأن يأخذ شيئاً من الحرام بيده، وهذا لا يجوز إذا كان في حال الصوم، وهذا يحبط عمله، لأنّ المتّقي يتقبّل منه، وهذا ليس متّقياً. وكذلك الذي يسرق، والذي يضرب غيره بغير حقّ، والذي يمارس بعض المحرّمات بيده، والذي يذهب إلى الحرام برجله. وعن هذا قالت السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام: وجوارحه، أي كلّ الأعضاء.

لتنبيه الناس

في زمن الإمام الحسين عليه السلام، وكان الإمام موجوداً في مكّة المكرّمة حيث قد ذهب إلى الحجّ أو العمرة، وقعت حادثة، وهي أنّه كان مجموعة من الناس يطوفون، وفي حال الطواف، وكانت امرأة تطوف وخلفها شابّ، فنظر إلى ذراع المرأة ووضع يده على ذراعها. وبمجرّد أن وضع الشاب يده على ذراع المرأة، التصقت يده بذراعها، وكلما أراد أن يفصل يده لم يتمكّن، وكلما أرادت المرأة أن تفصل ذراعها لم تتمكّن هي أيضاً. فأخبروا الإمام الحسين عليه السلام، وأخذوهما إليه، فدعا الإمام الحسين عليه السلام فانفصلت يد الشابّ وذراع المرأة.

هذا الأمر لا يكون دائماً، لأنّ الله تعالى يريد أن يختبر العباد. فالله تعالى أراد أن يترك الناس باختيارهم المعاصي، وأن يأتون بالواجبات باختيارهم. فأحياناً يكون أمثال ما حصل للشابّ وذلك لتنبيه الناس. ومن معاصي اليد أنّ الشخص الرجل يضع يده على يد امرأة ليست محرما له، أو يضع يده بريبة على يد أمرأة هي محرم له كأن تكون أخته أو أمّه.

يجب صوم الجوارح

إذن، في حال الصوم، على اليد أن تصوم أيضاً، أي تجتنب المحرّمات، بل والمكروهات. وكذلك العين تجتنب عن النظر إلى الحرام، ويجتنب اللسان عن قول الحرام، وهذا الصوم يكون صوماً جيّداً. فما دام الإنسان يصوم فليلاحظ في أيّام الصيام أن تكون أعضاءه وجوارحه، كلّها مصونة عن المحرّمات، وكذلك يحاول أن يصونها عن المكروهات بالمقدار الذي يمكنه.

بالنتيجة: يأتي الأرحام والزملاء والأصدقاء، في الدراسة ومحلّ العمل، يأتون يوم القيامة تتفاضل أعمالهم. فأحدهم يكون صومه صوماً في درجة رفيعة، وآخر صومه في درجة أقلّ، فيتحسّر. فعندما ينتهي شهر رمضان، فإنّ الذي أدّى ما عليه في المرحلة العالية، بترك كل المحرّمات وكل المكروهات، هذا يكون أكثر موفّقاً، حتى في الدنيا.

ما دام الإنسان قد عزم على الصوم، فيصوم ويمتنع عن اللذّات من الأكل والشرب وغيرهما من المفطرات، فليمتنع عن اللذّات المحرّمة في غير المفطرات العشرة.

دقّة الإسلام في حقوق الناس

في حديث شريف عن رسول الله ﷺ، أنّه قال: **(ألا وأنّ الله عزّ وجلّ سائلكم عن أعمالكم حتى عن مسّ أحدكم ثوب أخيه بأصبعه أو بين إصبعيه)**، أي من يضع قطعة من قماش قميص أخيه الذي جالس عنده بين إصبيعيه ويريد، مثلاً، أن يعرف هذا الثوب خشناً أو ليّناً، أو لكي يقتني مثله، فإذا كان صاحب الثوب والقميص لا يرضى بأنّ يمسّ ثوبه، فالله تعالى يسائل من مسّه في يوم القيامة. ولذا لا يجوز لشخص أن يتصرّف في مال أخيه إلاّ برضاه، حتى بهذا المقدار من التصرّف الذي لا يضرّ الشخص، لأنّه بالنتيجة هو ماله، وتصرّف غيره في هذا المال يحتاج إلى رضا.

بلى، إنّ الإسلام دين سمح، ولكن في الوقت نفسه، وبالنسبة إلى الأمور الاجتماعية وغيرها، هو دقيق. فمسّ ثوب الشخص يكون حراماً من المحرّمات إذا لم يرض الشخص صاحب الثوب.

إذاً، ما دام الإنسان في شهر الصيام، ويصوم، فليعزم على ترك المحرّمات وترك المكروهات، وقبل ذلك يعرف ويتعلّم من الرسائل العملية ومن غيرها من الكتب المؤلّفة لذلك الأمر، أي أنّه ما هي المحرّمات، حتى يجتنبها.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّق الجميع للمراحل الرفيعة من الصوم.

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

الليلة الثالثة

دين الحرية والاختيار

قال الله عزّ وجلّ في القرآن الحكيم: (لَاۤ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ)[1]

أساس الحريّة في الإسلام

هذه الكلمات الأربع في آية الكرسي من القرآن الحكيم، هي أساس الحريّة في الإسلام. ففي الإسلام لا يوجد شيء اسمه الإكراه على الدين، ولا أن يكون الإكراه والإجبار بأن يأتي المشرك ويصير مسلماً، ويأتي الكتابي ويصير مسلماً، ويأتي الملحد ويصير مسلماً. كلا، فلا إجبار على ذلك ولا إكراه. ويقول الله عزّ وجلّ بعد ذلك: (قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ). فعندما يتّضح الجيّد من الرديء لا يحتاج إلى أن يجبر شخص على الأخذ بالجيّد.

الامتحان بالاختيار لا الجبر

لقد خلق الله عزّ وجلّ الدنيا، وخلق الإنسان في الدنيا للاختبار. فإذا كان هناك إجبار لا يكون اختباراً كاملاً، ولا يكون امتحاناً للجميع. وهذه من ميّزات الإسلام التي لا نظير لها في التاريخ، إلاّ من الأنبياء من مثل سليمان على نبيّنا وآله وعليه الصلاة والسلام. وأمّا في الحكومات، وحتى هذا اليوم، التي تدّعي الحريّة، سواء بالغرب وغيره، لا نظير لهذه الميّزات في الإسلام.

---

١. سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

النبيّ جعل الناس أحراراً

لقد عاش رسول الله ﷺ في الدنيا بعد البعثة، ثلاث وعشرين سنة، ثلاثة عشر منها في مكّة المكرّمة، وعشر منها في المدينة المنوّرة. ولم يكره رسول الله ﷺ في مكّة المكرّمة ولم يجبر أحد على الإسلام. وفي المدينة المنوّرة بعد الهجرة حيثما كانت له ﷺ القدرة المطلقة، حيث انتصر بفضل الله عزّ وجلّ في العشرات من الحروب المفروضة عليه، وصارت له بعد الانتصار في جميع الحروب، القدرة الكاملة في المدينة المنوّرة وأطرافها ومع ذلك لم يجبر أحداً على الإسلام، سواء ممن أسلم في مكّة المكرّمة وهاجر إلى المدينة المنوّرة، أو جاؤوا إلى المدينة المنوّرة وفيها أسلموا على يد رسول الله ﷺ، أو من أهل المدينة الذين يسمّون بالأنصار، حيث أسلم الألوف خلال العشر سنوات على يد رسول الله ﷺ. ولكن بعضاً منهم ارتدّوا بعد ذلك نتيجة ضغوط بعض أهلهم وعوائلهم ونتيجة المشاكل الاقصادية وغيرها.

كان رسول الله ﷺ يستطيع أن يردّهم إلى الإسلام، بل إنّه حتى لم يأمرهم بالردّ إلى الإسلام. ومن يتتبع تاريخ رسول الله ﷺ في المدينة المنوّرة يجد العديد والعديد من الذين أسلموا ثم ارتدّوا عن الإسلام ورجعوا إلى الشرك ورجعوا إلى النصرانية ورجعوا إلى اليهودية وغيرها، ومنها القصة التالية المنقولة في التاريخ، ونقلها العلاّمة المجلسي قدّس سرّه في بحار الأنوار في تاريخ رسول الله ﷺ:

نموذج من عدم الإكراه

رجل من أهل المدينة أسلم وكان يسمّى بالأنصاري أي من الأنصار، وهو أبو الحصين، واسمه كما قالوا حُرير، ولكنه كان معروفاً بلقبه وكنيته.

وحُرير لعلّه تصغير حَرير، وكان له ولدان شابان. وذات يوم جاءت قافلة تجارة من الشام إلى الحجاز والمدينة المنوّرة وفيها نصارى، فغرّ بعضهم الشابّين لأبي الحصين فتركا الإسلام واعتنقا المسيحية وصار من النصارى، ولم يستطع أبوهما أن يردّهما إلى الإسلام. فجاء إلى رسول الله ﷺ وأخبره بأمر ولديه، وقال للنبيّ ﷺ ابعث يارسول الله إليهما وأمرهما بأن يرجعا إلى الإسلام، فلم يفعل رسول الله ﷺ. وقد نقل في كتب التفاسير وفي بحار الأنوار أيضاً أنّ شأن نزول هذه الآية الكريمة (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) كانت هذه القصّة. وهكذا لم يفعل رسول الله ﷺ بالنسبة إلى غيرهم ممن ارتدّوا عن الإسلام.

دين الحريّة والاختيار

إنّ الانقلابات التي تحدث في الدنيا اليوم وقبله وقبله، سواء في البلاد الإسلامية مع الأسف وفي البلاد غير الإسلامية، من انقلاب عسكري وغير عسكري، ترى فيها تبادل الدماء، كما في بدء الإسلام حيث الإسلام دين سلم ودين سلام، ولكن المشركون فرضوا على رسول الله ﷺ العشرات من الحروب، وكان رسول الله ﷺ في كلّها بموقف الدفاع. ولكن مع ذلك لا يوجد هناك نقطة واحدة في الإسلام على الإكراه عليه أو الجبر عليه، وهذه مسألة مهمّة جدّاً خصوصاً في هذا اليوم الذي تدّعي فيه دول الغرب وغيره الحريّة. فأين توجد هذه الحرية قبل ألف سنة وأكثر من أربعمئة سنة، حيث كانت الدنيا في غير الإسلام مرتطمة وموغلة بالدماء والقتل والسلب والنهب والمظالم المختلفة؟

من الفرض على المسلمين جميعاً، وخصوصاً الشباب الغيارى، سواء في البلاد الإسلامية أو في بلاد غير الإسلامية، أن يبلّغوا لهذه النقطة المهمّة في الإسلام. فهذه الكلمات الأربع (لاَإِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) هي دنيا من الحريّة.

عرض الإسلام بالبلاغ والإقناع

نعم ينبغي، بل يجب أن يكون كما يكرّر القرآن الكريم، البلاغ مبيناً وواضحاً ومقنعاً، باستدلال ومناقشات وبحث، (فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ)[1]. فالمهم هو عرض الإسلام الصحيح على غير المسلمين، حتى في أوساط بعض المسلمين الذين وقعوا في شِرك بعض الشبهات. فالمهم أن تحصل القناعة بالإسلام، والقناعة بأحكام الإسلام، والقناعة بأحكام القرآن الكريم، والقناعة بأصول العقائد، والقناعة بأخلاق الإسلام، وذلك بالبلاغ المبين، فإذا حصلت القناعة عندها فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّق المسلمين لتبليغ هذه النقطة المهمّة في الإسلام، وهي الحريّة المستفادة من العديد من الآيات القرآنية ومن العشرات من الأحاديث الشريفة، ومنها الآية الكريمة: (لاَإِكْرَاهَ فِي الدِّينِ).

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

---

١. سورة الكهف، الآية ٢٩.

الليلة الرابعة

قصّة عديمة النظير

قال الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1].

إنّ فتح مكّة المكرّمة هي قصّة من قصص تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله. وهي قصّة تتضمّن العشرات والعشرات من العبر المهمّة في طول التاريخ. وكل واحدة من تلك العبر هي قليلة النظير في التاريخ، وبمجموعها قصّة فتح مكّة المكرّمة على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، بمقدّماتها وما تضمّنت في أطرافها وما بعدها من حيث المجموع، قصّة عديمة النظير في تاريخ البشرية، وذلك في تدبير رسول الله صلى الله عليه وآله لهذه القصّة والفضيلة التي تحتوي أطرافها وما ظهر من كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن عمله، ومن تقريره في مختلف الأمور المهمّة.

قصّة عديمة النظير

واحدة من تلك العبر هي بوحدها قليلة النظير في التاريخ، إن لم تك عديمة النظير، وهي قصّة صفوان بن أميّة.

كان صفوان من المشركين في مكّة المكرّمة ومن تجّار المشركين في الأسلحة، وكان عنده مجموعة كبيرة من الأسلحة إن لم تك عنده المجموعة الكبرى عند كل المشركين، فكان ما عنده هي واحدة من كبيرات المجموعات من الأسلحة وكان يمتلكها كلّها، أي كان عنده مركز كبير

---

١. سورة الفتح، الآية ١.

من الأسلحة بمستوى الحجاز في ذلك اليوم وبمستوى مكّة المكرّمة. وقد حارب صفوان بن أميّة رسول الله ﷺ من أوّل البعثة إلى فتح مكّة المكرّمة، أي ما يقارب عشرين سنة، بمختلف أنواع الحروب، أيّام كان رسول الله ﷺ في مكّة قبل الهجرة أي ثلاثة عشر سنة، وبعد البعثة، حيث حارب بأصناف الحروب ضدّ رسول الله ﷺ، من أذيّة أصحابه وخلق المشاكل لرسول الله ﷺ. ولما هاجر النبيّ ﷺ إلى المدينة المنوّرة وإلى فتح مكّة، أي خلال ثمان سنوات، كان صفوان من المموّلين للعشرات والعشرات والعشرات من الحروب ضدّ رسول الله ﷺ، وكان يشجّع على الحروب، ويعطي الأسلحة، ولم ينقل أنّ المشركين قد عوضوه عن أسلحته بشيء، أو هو طلب منهم شيئاً، وكذلك كان يموّلهم بالمال، وكان من الأفراد القليلين الذين هم في الرعيل الأول من كبار المحاربين لنبيّ الإسلام ﷺ.

محاولة اغتيال النبيّ

واحدة من قصص صفوان في معاداته لرسول الله ﷺ، أنّه كان له خادم، وذات يوم جاء به إلى فناء الكعبة وجلس معه وأخذ يتحدّث معه وقال: أطلب منك شيئاً. قال: ماهو؟ قال: أن تذهب وتقتل محمّداً. وأعطاه سيفاً من أحسن السيوف، وقال له إن قتلت محمّداً ورجعت أعطيك كل ما تريد، وإذا لم توفّق لقتله وقتلت فأنا أحمي بناتك كما أحمي بناتي وأجعلهنّ كبناتي. وشجّعه وأعطاه المال فجاء الشخص إلى المدينة المنوّرة ودخل متظاهراً بأنّه يريد أن يسلم، وكان المؤمنون يعرفونه بأنّه خادم لصفوان، فدخل المسجد ساتراً سيفه تحت عباءته، وحينما جلس عند رسول الله ﷺ، قال له النبيّ ﷺ: أخرج سيفك! فأسقط في يده وأخرج سيفه؟ وأخبره

النبيّ ﷺ بما طلب منه صفوان، فاستيقظ وجدانه وفطرته فتشهّد الشهادتين وآمن برسول الله ﷺ. وبعدها بقي الرجل في المدينة المنوّرة وكان يصلّي خلف النبيّ ﷺ. وعندما صار فتح مكّة المكرّمة، شارك خادم صفوان في فتحها مع النبيّ ﷺ، وذهب يسأل عن صفوان فقالوا له إنّه انهزم وفرّ إلى الجبال خوفاً من أن يقتله رسول الله ﷺ. فذهب إلى النبي وقال: يا رسول الله، إنّ صفوان بن أمية خرج هارباً خوفًا منك فأمنه (أي أعطيه الأمان) فداك أبي وأمّي، فقال الرسول: قد أمّنته. فخرج من عند رسول الله مسرعاً إلى المكان الذي اختبأ فيه صفوان. فلما رآى صفوان قال له: جئتك من عند أبرّ الناس، وأوصل الناس، قد أمّنك رسول الله. فقال صفوان: لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها، فرجع عمير إلى النبي وقال له ما يريده صفوان، فأعطاه الرسول ﷺ عمامته، فأخذها وخرج إلى صفوان، وقال له: هذه عمامة رسول الله يا صفوان، فعرفها صفوان. فرسول الله ﷺ كان معروفاً حتى عند الأعداء إنّه الصادق الأمين. وعلم أن النبي قد أمّنه.

العفو عن مدبّر الاغتيال

ثم خرج صفوان حتى وصل إلى المسجد، وإذا برسول الله وصحابته يصلّون العصر، فوقف صفوان بفرسه بجانبهم، وبعد أن انتهت الصلاة وقف صفوان أمام الرسول ﷺ وناداه في جماعة من الناس، وقال: يا محمّد، إنّ عمير بن وهب جاءني ببردك، وزعم أنّك دعوتني إلى القدوم عليك فإن رضيت أمراً، وإلاّ سيرتني (أمهلني) شهرين، فقال له رسول الله ﷺ: أنزل. فقال صفوان: لا والله حتى تبيّن لي، فقال ﷺ: انزل، بل لك تسير أربعة أشهر، فنزل صفوان، وأخذ يروح ويعود بين المسلمين وهو مشرك.

عدو لدود مشرك ينقلب إلى مسلم

ثم عامله رسول الله ﷺ معاملة حسنة طيّبة جيّدة أخلاقية وفضيلة. وبالنتيجة هذا الرجل المعاند في هذا المستوى آمن برسول الله ﷺ، وصار من المسلمين. ونقل العلاّمة المجلسي قدّس سرّه في بحار الأنوار أحاديث لرسول الله ﷺ عن صفوان بن أميّة. وأسلم ابن صفوان عبد الله، ويذكره أصحاب كتب الرجال بأنّه من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وعاش صفوان بن أميّة لعلّه إلى آخر حياة الإمام علي عليه السلام.

من معاجز أخلاق النبيّ

هذه معجزة الإسلام، وهذه معجزة رسول الله ﷺ، وواحدة من المئات والمئات. وهكذا يقلب رسول الله ﷺ العدو اللدود وفي هذا المستوى إلى من يؤمن به، وتصير ذريّته من المسلمين. والدنيا لا تعرف هذه الفضائل لرسول الله ﷺ، وهذا مسؤولية على الجميع.

مسؤولية إعلاميّة

إنّ قصّة صفوان بتفاصيلها يجدر أن يتم صناعتها كفلم أو تمثيلية وتعرض في الفضائيات التي هي بيد المسلمين، فإنّ أكثر المسلمين لم يسمعوا جزءاً جيّداً من تفاصيل هذه القصّة، وشهر رمضان العظيم مناسبة فضيلة وجيّدة لعرض هذه التفاصيل على العالم، سواء في البلاد الإسلامية والبلاد غير الإسلامية.

أسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق للجميع لحمل هذه المسؤوليات، خصوصاً الشباب الغيارى من المؤمنين والفتيات المؤمنات في بلاد الإسلام، وفي بلاد غير الإسلام.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

الليلة الخامسة

الفضيلة العظمى

وجوب نشر فضائل النبيّ

قال الله عزّ وجلّ في القرآن الحكيم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1]

صدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله في فتح مكّة أمور هي قمّة الفضيلة والعقل، وواحدة منها ما أذكره في حديث الليلة، مما ورد في مختلف التواريخ، ومنها ما ذكره العلاّمة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار، وهي:

النبيّ يستعير من المشرك!

جاءت الأخبار لرسول الله صلى الله عليه وآله بأنّ قوماً من المشركين تحرّكوا ويريدون أن يحملوا على الإسلام وعلى رسول الإسلام وعلى المسلمين. فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله كعادته دائماً أن يبعث للدفاع لا للهجوم، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله في طول تاريخه، كانت كل حروبه دفاعية، ولم تسجّل حرب في تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله بدون دفاع. وقد احتاج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الدروع ليلبسها المسلمون الذين يذهبون للدفاع. وكان صفوان بن أميّة مركزاً للمعدّات الحربية في ذلك اليوم، وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يأخذ منه بعض الدروع.

---

١. سورة الفتح، الآية ١.

والنقطة التي أذكرها هنا هي عديمة النظير في تاريخ البشر، إذا قرأنا موقف صفوان بن أميّة مع رسول الله ﷺ قرابة عشرين سنة، حيث كان موقفاً سلبياً شديداً في تأجيج الحروب على رسول الله ﷺ من قبل صفوان، وكذلك الحروب النفسية وتعذيب المسلمين والتشجيع على تعذيب المسلمين لما كان رسول الله ﷺ في مكّة المكرّمة. وهكذا قرأنا قدرة رسول الله ﷺ في فتح مكّة المكرّمة بأنّه ﷺ كان بإمكانه أن يصنع كل شيء، ولكن مع ذلك قال رسول الله ﷺ كما في الأحاديث الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام وكما في مطلق التواريخ، قال لصفوان نحن بحاجة إلى مجموعة من الدروع للدفاع. فقال صفوان: يامحمّد! أغصباً؟ يعني تريدها منّي بالإجبار وتجبرني على أن أعطيك؟ فقال له النبيّ ﷺ: لا، بل عاريّة مضمونة.

الفرق بين الأمانة والعاريّة

في الأحكام الإسلامية، هناك فرق بين الأمانة والعاريّة. فالأمانة أن يعطي شخص لشخص شيئاً كأمانة، والأمين لا يجوز له أن يتصرّف في الأمانة، بل مجرّد يحفظها. وأمّا العاريّة فهي بمعنى أن يعطي شخص لشخص شيئاً يتصرّف فيه ثم بعد ذلك يرجع هذه العاريّة إلى صاحبها. فالعاريّة يُتصرّف فيها. وفي الحكم الشرعي إذا تلفت الأمانة من غير تفريط من الأمين، لا يكون الأخير ضامناً، وهكذا في العاريّة، حيث الحكم الشرعي انّه إذا أخذ شخص عاريّة من شخص مثل عباءة يلبسها، أو كتاباً ليقرأه، أو سيفاً ودرعاً ليلبسه في الحرب الدفاعية، ثم حدث شيئاً بما أخذه من دون تقصير من الأمين والمستعير، فهذا ليس ضامناً. ولكن رسول الله ﷺ في هذه القصّة

قال لصفوان بن أميّة: بل عاريّة مضمونة. والعارية لا تضمن ولكن قال رسول الله ﷺ أنا ضامن لهذه العاريّة، أي إذا حدث نقص فيها أو خرق أو أيّ شيء آخر في هذه الدروع، فأنا ضامن لأن أعوّضك عن ذلك.

من قوانين الإسلام

هذا القول من رسول الله ﷺ صار قانوناً في الإسلام كما قال أهل البيت عليهم السلام، أي قانوناً في العاريّة. فالعاريّة لا تضمن، ولكن إن اشترط الضمان تكون مضمونة، وذلك لقول رسول الله عليه وآله: عاريّة مضمونة. فأين تجد مثل هذا الأمر؟ ففي أيّة حرب وفي أيّة مقابلة تقع بين أمّتين أو مجموعتين، تنتهي بإراقة الدماء وإلى الأسر، ثم تظفر إحداها على الأخرى، لا تجد مصادرة للأموال؟ وأين تجد مثل هذا في التاريخ؟

في التعامل مع المشرك الحربي

أمّا رسول الله ﷺ لم يصادر أموال صفوان بن أميّة فقط، بل طلبه منه أن يعطيه. ولو أنّ رسول الله ﷺ أخذ من صفوان بالقوّة لكان أمراً طبيعياً، فهذا من قانون الحرب. فصفوان حارب رسول الله ﷺ عشرين سنة، وبإمكان رسول الله ﷺ أن يأخذ من صفوان أمواله، وهذا الأمر جار في التاريخ، وموجود، ولكن رسول الله ﷺ لم يصادر شيئاً من أموال صفوان، وعندما يطلب ﷺ من صفوان العاريّة، والعاريّة لا تضمن، يؤكّد رسول الله ﷺ على الضمان، ويكون هذا الأمر مفتتح حكم شرعي، لأنّ ما يقوله رسول الله ﷺ هو تشريع وحكم إلهي، فهو ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]. فقد قال رسول الله ﷺ لصفوان: بل عاريّة مضمونة، وصفوان كان لا يزال مشركاً وعلى شركه ولم يسلم بعد.

---

١. سورة النجم، الآيتان ٣و٤.

من ويلات الثورات والانقلابات

لقد قرأنا وقرأتم في الكتب عن الثورات والانقلابات، ولكن نحن عشنا ورأينا في العراق في ثورة ١٩٥٨، أنّه كم صادروا من الأموال، وهكذا في غيرها من الثورات التي حدثت خلال النصف من القرن الماضي، وأنا عشته وأتذكّره. فكلما حدث انقلاب أو ثورة، رأينا مصادرة لأموال الطرف المقابل بالعشرات والعشرات، بل صادروا حتى أموال المنتسبين إليهم، كأخ الطرف أو عمّه أو خاله أو عمّته أو خالته، أو ابن عمّه أو ابن عمّته أو ابن خاله أو ابن خالته، أو صديقه، أو عامل عنده. ولكن رسول الله ﷺ في فتح مكّة المكرّمة وبعد قرابة عشرين سنة من شتى أنواع الحروب السلاحية والنفسية وغيرها من المشركين في مكّة المكرّمة مع رسول الله ﷺ، ومع ذلك لم يصادر رسول الله ﷺ حتى درهماً واحداً ولا حتى ديناراً واحداً، ولم ينقل التاريخ أنّ رسول الله ﷺ قد قام بهذا العمل.

فضيلة عظمى بلا نظير

أليست هذه فضيلة عظمى بلا نظير في التاريخ؟ أليست هذه مداراة إنسانية؟ ألا يلزم نشر هذه الفضيلة ليتعلّم البشر من رسول الله ﷺ في مستقبل التاريخ؟ بلى، ينبغي أكيداً للجميع.

إنّ هذه القصة، من العديد من القصص، لا نظير لها في التايخ، وأقولها بملئ فمي وبكل جرأة لا نظير لها، سوى عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو نفس رسول الله ﷺ كما يقول القرآن الكريم. فلا نجد مثلها أبداً، في التاريخ الماضي والتاريخ المعاصر. فأين تجد في حرب تقع بين فئتين، ثم تظفر إحداها على الأخرى ولم تصادر شيئاً من المغلوبة؟

وجوب نشر فضائل النبيّ

هذه القصّة، وهذا النوع من تعامل رسول الله ﷺ، يجب على المسلمين نشره، وخصوصاً الشباب الغيارى في البلاد الإسلامية وفي البلاد غير الإسلامية، وأن ينشروا هذه القصّة بالبلاغ المبين كما يؤكّد القرآن الكريم. علماً أنّه لما هاجر رسول الله ﷺ من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة، ولم تك بعد أيّة حرب، ولم يصدر من رسول الله ﷺ شيء سلبي، ولكنهم صادروا دار سكنى النبيّ ﷺ أي التي كان يسكن فيها. فالمصادرة شيء عادي في الحروب، ولكن رسول الله ﷺ في هذا الموقف بعد قرابة عشرين سنة من الحروب المفروضة عليه التي كان فيها رسول الله ﷺ في موقف الدفاع فقط وفقط، ومع ذلك كله، تعامل ﷺ تلك المعاملة الحسنة مع صفوان بن أميّة، على ما صدر من صفوان خلال العشرين سنّة المشار إليها.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّق الجميع، خصوصاً الشباب الغيارى، لأداء هذا الواجب الكفائي الذي لا كفاية فيه اليوم، وأصبح واجباً عينياً.

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

الليلة السادسة

الثقافة العظيمة

ألدّ الأعداء

كان صفوان بن أميّة في التعبئة ضدّ رسول الله ﷺ، وإيجاد الحروب ضدّ رسول الله ﷺ، لعلّه أقوى حتى من أبي سفيان. فإنّه كان يمدّ المقاتلين من المشركين ضدّ رسول الله ﷺ بالسلاح وبالمال حتى أنّه في أولى الحروب الدفاعية لرسول الله ﷺ وهي حرب بدر، جاء في التاريخ انّ رؤوساء المشركين جمعوا أموالاً للحرب وذكروا انّ صفوان أعطى خمسمئة دينار، في حين أعطى غيره أقلّ، بالإضافة إلى انّ صفوان كان عنده مركزاً كبيراً للأسلحة، ويوزّعها على المشركين المقاتلين ضدّ رسول الله ﷺ، من الدروع والسيوف والرماح وغير ذلك. وكانت القوّة الشرائية لخمسمئة دينار في ذلك اليوم كبيرة وتساوي ألف رأس من الغنم. ففي قصّة عروة البارقي هناك رواية معروفة انّ رسول الله ﷺ، أعطى عروة ديناراً واحداً ليشتري له خروفاً للأضحيّة، فراح عروة واشترى بدينار واحد خروفين. وخمسمئة دينار ذهب وزنه أكثر من كيلو واحد من الذهب ونصف الكيلو. ولعلّه كانت القوّة الشرائية في مكّة المكرّمة أكثر باعتبار انّها العطاء والشراء والبيع. فكانت خمسمئة دينار مبلغاً كبيراً في أولى الحروب ضدّ رسول الله ﷺ. فأكبر ثمن أعطاه أحد كبار المشركين هو صفوان بن أميّة.

بالإضافة إلى الأسلحة، كان صفوان يثقّف الناس، أي يقوم بالتثقيف ضدّ رسول الله ﷺ، والتثقيف أهمّ من الأسلحة والمال. فالتثقيف هو الذي يحرّك الناس. فكان يثقّف عبر الشعراء، وكان يعطي الأموال للشعراء لينظّموا أشعاراً ضدّ رسول الله ﷺ. وكانت القصائد والأشعار تهيّج الشباب المشركين للمسير إلى حرب رسول الله ﷺ.

التعامل بالفضيلة في الحرب

أولى الحروب وهي حرب بدر التي لها تاريخ مفصّل من عداء وظلم المشركين لرسول الله ﷺ، ومن تعامل رسول الله ﷺ بكل فضيلة وأخلاق في الحرب وبعد الحرب مع الأسرى. وهذا باب واسع ومفصّل في مقام تعامل رسول الله ﷺ بعد أن وضعت الحرب أوزارها.

كان صفوان بن أميّة يثقّف ضدّ رسول الله ﷺ، ولم ينقل عن غير صفوان مثل ذلك. وكان من شعراء المشركين في مكّة سهيل بن عمرو. وعندما جاء رسول الله ﷺ إلى مكّة المكرّمة وكان الفتح الإلهي لرسول الله ﷺ، ونزلت الآية الكريمة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1]، بعث بعض أصحاب رسول الله ﷺ في مكّة آنذاك، إلى جماعة من زعماء المشركين ومنهم أبو سفيان وصفوان وغيرهما بأن يأتوا إليهم ليعاتبوهم، حيث قالوا إنّ رسول الله ﷺ لا يعاقبهم فلنعاتبهم نحن. فبعثوا إليهم حتى يأتون ويذكرون للمسلمين ما صنعوا

---

١. سورة الفتح، الآية ١.

من الحروب ضدّ رسول الله ﷺ التي راح ضحيّتها الكثير من القتلى. فجاء الزعماء ولما دخلوا على المسلمين كان فيهم رسول الله ﷺ، فلما رآهم قال بطلاقة الوجه وابتسامته المعروفة عنده ﷺ: (مثلي ومثلكم مثل يوسف وإخوته، وأقول لكم كما قال يوسف لإخوته: (لا تثريب عليكم). فلم يبقى هناك مجال للمسلمين يعاتبون فيه المشركين.

لا للمثلة في الإسلام

كما كان الشعراء في مكّة يهيّجون الشباب المشركين ضدّ رسول الله ﷺ لما كان في مكّة المكرّمة وحتى بعد الهجرة، حيث كانوا يهيّجون ضدّ رسول الله ﷺ، وكانوا بثقافة الحرب يهيؤون الشباب المشركين لحرب رسول الله ﷺ، وحتى هؤلاء الشعراء، لم ينقل التاريخ عن رسول الله ﷺ أنّه عاتب حتى واحد منهم، ولم يعاقب أيّ أحد منهم، وكان أحدهم ومن كبار الشعراء في مكّة هو سهيل بن عمرو. فقال بعض الأصحاب لرسول الله ﷺ: يارسول الله دعنا ننزع ثنيتيه ـ أي الأسنان الثنتين الأمامية ـ حتى لا يمكنه أن يهجو بعدها ويتلعثم ولا يستطيع أن يفصح في الكلام. فقال رسول الله ﷺ: (لا أُمثّل).

قلب العدو المشرك إلى مسلم

إنّ تعامل رسول الله ﷺ مع صفوان، لعلّه أكيداً فريد في تاريخ البشرية. فشخص في موقع رسول الله ﷺ، وصفوان بن أميّة يحاربه بأنواع ما يمكن من الحروب، وبعد ذلك يسيطّر رسول الله ﷺ على صفوان ويتمكّن منه

ولا يعاقبه ولا يعاتبه ولا يصادر شيئاً من أمواله، بل يتعامل معه ومع أمثاله، التعامل الحسن حتى صار سبباً لأنّ يعلن إسلامه في وقت غير بعيد، ثم أسلمت عائلته وأسلم أولاده وأحفاده، الذين ذكرت بعض الكتب أسماءهم، ومنهم عبد الله.

الخلق العظيم

لقد استطاع رسول الله ﷺ بهذه الأخلاق العالية والفضيلة، أن يجعل ألدّ الأعداء، بدون إجبار وإكراه، بأن يأتي طوعاً ورغبة ويُسلم على يدي رسول الله ﷺ. وهذه المسألة المهمّة أدّت إلى أن يأتي الكثير، وشيئاً فشيئاً، ويُسلموا على يدي رسول الله ﷺ، سواء حينما كان النبيّ ﷺ في مكّة المكرّمة أو بعد فتحها، أو بعد عودته إلى المدينة المنوّرة. فكان العشرات والعشرات والمئات والمئات وأحياناً ألف وأكثر من ألف، كانوا يأتون في دفعة واحدة ويُسلمون على يدي رسول الله ﷺ، نتيجة الخلق العظيم لرسول الله ﷺ في تعامله مع أشدّ أعدائه وألدّهم، ونتيجة تعامله بالحسنى، حتى قال الله عزّ وجلّ بالنسبة إلى المشركين الذين أسلموا وآمنوا برسول الله ﷺ: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[1]. في حين، عندما كان رسول الله ﷺ في مكّة المكرّمة قبل الهجرة، كان من يُسلم على يديه شخص واحد في كل يوم، وأربعة بعد اسبوع، أو شهر واحد أو ثلاثة، أو أقلّ. ولكن بعد فتح مكّة المكرّمة صار: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

---

١. سورة النصر، الآية ٢.

الثقافة العظيمة

يقول الله سبحانه وتعالى انّه تعلّموا من رسول الله ﷺ، لكل الحكومات والشعوب والمسلمون وغير المسلمين. وكذلك ينبغي أن تُنشر هذه الثقافة العظيمة، ثقافة الفضيلة، من رسول الله ﷺ، حتى شيئاً فشيئاً، يتعلّم الناس. والأولى بالتعلّم هم رؤوساء الحكومات الإسلامية وغير الإسلامية، حتى تنجو الدنيا، شيئاً فشيئاً، من المآسي الكثيرة التي هي ملئ الدنيا، اقتصادياً وسياساً واجتماعياً وعائلياً.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّق الجميع لنشر ثقافة رسول الله ﷺ، حتى تكون الدنيا في مستقبلها خير من ماضيها.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

الليلة السابعة

مؤسس الرحمة والعفو والإنسانية بالحرب

مؤسّس الحروب ضدّ النبي

كان سهيل بن عمرو أحد المحاور الرئيسة في تأسيس ومواصلة الحروب ضدّ رسول الله ﷺ. والحرب الأولى وهي حرب بدر أسّسها سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وأبو سفيان، وكان تأثير سهيل في تأسيس الحرب ضدّ رسول الله ﷺ أكثر من صفوان وأبي سفيان وغيرهم، وذلك لأنّ سهيل كان يمدّ الحرب بالمال، وبأهمّ من ذلك، كان يمدّ الحرب بالخطابة والتشجيع والشعر وأمثال ذلك. واشترك هو شخصياً في حرب بدر. ولما نصر الله عزّ وجلّ النبي الأعظم ﷺ في حرب بدر، لم يُقتل سهيل بل فرّ وانهزم ولاحقه المسلمون وصار أسيراً، فعلى مقربة من المدينة المنوّرة فرّ من يد المسلمين فأمر النبي ﷺ بملاحقته، فلاحقوه، وأخذوه.

العفو عن رأس العداء

في تاريخ الحروب في ذلك الزمان، وفي كل زمان، وحتى في زماننا، ترى ماذا يصنعون بمثل سهيل بن عمرو؟ والجواب هو ليس إلاّ التعذيب والقتل. وكم لذلك من شواهد حتى في التاريخ المعاصر، وحتى في البلاد الإسلامية في الثورات التي حدثت خلال النصف من القرن الأخير، وأكثر. ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل سهيل ولم يسجنه ولم يعذّبه، ولم ينقل ـ وأنا شخصياً لم أرى ذلك ـ أنّ رسول الله ﷺ واجهه حتى بعتاب. ولما كان فتح

مكّة المكرّمة وانتصر رسول الله ﷺ بإذن الله عزّ وجلّ، اقترح بعض أصحاب النبي ﷺ أن ينزعوا ثنايا سهيل بن عمرو حتى لا يستطيع أن يتكلّم ضدّ رسول الله ﷺ، وكان سهيل لا يزال مشركاً. فامتنع رسول الله ﷺ من تلبية طلب الأصحاب بأن ينزعوا ثنيتي سهيل، وقال لهم النبيّ ﷺ بما مضمونه: سوف ينفع هذا سهيل.

لهذا دخلوا الدين أفواجاً

في فتح مكّة المكرّمة لم يجبر رسول الله ﷺ سهيل على الأسلام كما لم يجبر غيره، ولكن الأسلوب الفضيل من رسول الله ﷺ في تعامله مع المشركين وبالذات وبالخصوص مع سهيل صار سبباً لأن يسلم سهيل طوعاً ورغبة. ولم يدم الشيء الكثير على فتح مكّة المكرّمة، سوى قرابة سنة، حتى استشهد رسول الله ﷺ، فعرض بعض شباب المشركين في مكّة، على مجموعة من الشباب أن يرتدّوا عن الإسلام، مع انّ أحداً منهم لم يكره على الإسلام، ولم يجبروا عليه، وإنّما كان للجو الذي صنعه رسول الله ﷺ بأخلاقه، حيث جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. ولما طرحت هذه الفكرة بعد استشهاد رسول الله ﷺ، على أن يرتدّ المشركون في مكّة عن الإسلام، قام فيهم سهيل بن عمرو خطيباً وقال لا تكونوا آخر من أسلم وأوّل من ارتدّ، ومنعهم بهذا الكلام من أن يرتّدوا. لأنّ الذين أسلموا بعد فتح مكّة أي بعد قرابة عشرين سنة من بعد بعثة رسول الله ﷺ، كانوا هم آخر من أسلموا.

هكذا وبالأخلاق في مسألة الحروب ومسألة الأسلحة وفي المعاملة مع الذين أسّسوا الحروب ضدّ رسول الله ﷺ، كالحرب الأولى وهي حرب بدر، ثم الحرب الثانية والثالثة والرابعة والعاشرة والعشرين والثلاثين، كان

سهيل بن عمرو أحد المحاور فيها، وقد ابتدؤوها ضدّ رسول الله ﷺ، وكان ﷺ في كل حروبه، بلا استثناء، في موقع الدفاع فقط وفقط.

ولهذا تقدّم الإسلام وانتشر

بهذه الأخلاق، وبهذه الفضيلة، قولاً وعملاً، من رسول الله ﷺ تقدّم الإسلام ودخل الناس في الإسلام أفواجاً وأفواجاً. ولو كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كما ذكرت الأحاديث الشريفة، بعد رسول الله ﷺ، يواصل مباشرة أسلوب رسول الله ﷺ، وهو نفس رسول الله ﷺ، لطبّقت الدنيا فضائل الإسلام، ولانتشر الإسلام سريعاً وواسعاً، كما كان بعد فتح مكّة المكرّمة على يدي رسول الله ﷺ. ولكن الذي منع من انتشار الإسلام ذلك الانتشار السريع والواسع هو ما تعامل به من سمّوهم بخلفاء رسول الله ﷺ، خصوصاً أيّام بني أمية وبني العباس الذين مارسوا أشدّ ما يكون من العنف والغلظة حتى في غير الحروب، فكيف بالحروب، وحتى مع غير الأعداء فكيف بالأعداء، وصفحات التاريخ، مع شديد الأسف، مسودّة بالمئات والمئات والألوف من المظالم الصادرة من أمثال بني أميّة وبني العباس.

من جرائم المتوكّل

كان ابن السكّيت من علماء المسلمين المعروفين في أيّام المتوكّل العباسي، ولا تزال كتبه وعلمه مورد استفادة الشرق والغرب في دنيا اليوم، وحتى الغربيون ترجموا بعض كتبه ويستفيدون من علومه لأنّه كان علاّمة في علوم مختلفة. وذكر التاريخ انّ المتوكّل العباسي سأل ابن السكيّت سؤالاً واحداً، فأجابه ابن السكّيت بجواب لم يحبّه المتوكّل، فغضب الأخير وأمر أن يُسلّ لسان ابن السكّيت من قفاه. ومعنى يسل من قفاه هو أن تشدّ رجلاه ويديه

حتى لا يستطيع الممانعة، وبحربة يثقبون رقبته من خلف، وبحديدة يخرجون لسانه من خلفه، وحينها يموت الشخص باللحظة. وهذا هو تعامل من يسمّونه بخليفة رسول الله ﷺ وهو المتوكّل مع علاّمة كبير مثل ابن السكّيت! وحاشا أن يكون مثل المتوكّل خليفة لرسول الله ﷺ. فرسول الله ﷺ تعامل مع من أجّجوا الحروب عليه وأسّسوها ضدّه، ذلك التعامل الإنساني. فكلمة واحدة صدرت من ابن السكّيت، ولم يحبّها المتوكّل، أمر الأخير بأن يُسلّ لسانه، أي يخرجوه من قفاه. وكذلك ذكروا أن شخصاً آخر وكان من الشعراء، ولأجل بيت واحد نظّمه في فضيلة أهل البيت عليهم السلام، أمر المتوكّل بأن يقطع رأسه، فقتلوه، وهكذا غيرهم وغيرهم!

ثقافة الرحمة والعفو والإنسانية

إذن، أليس من الواجب على الجميع أن ينشروا ثقافة الرحمة وثقافة الفضيلة وثقافة الإنسانية وثقافة العفو الصادرة من رسول الله ﷺ في العالم، كي شيئاً فشيئاً، يتعلّم من رسول الله ﷺ الجميع في الدنيا، من مسلمين وغير مسلمين، وخصوصاً الحكومات الإسلامية ورؤوساء الحكومات، والقرآن يؤكّد على التعلّم من رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]، وأسوة تعني تعلّموا.

شهر رمضان مناسبة مهمّة وجيّدة لنشر ثقافة رسول الله ﷺ في كل شيء، وخصوصاً في الحروب التي تكون عادة الثقافة فيها ثقافة عنف، ورسول الله ﷺ أسّس ثقافة الرحمة والفضيلة والإنسانية بما لا نظير له في تاريخ البشرية.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفّق الجميع لذلك.

وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

---

١. سورة الأحزاب، الآية ٢١.

الليلة الثامنة

التاريخ الفضيل الفريد

شاعر عدوّ ومحارب

أبو غرّة كان من أحد شعراء المشركين في الجاهلية ومن الخطباء، وكان يهجو رسول الله ﷺ في خطبه وقصائده، ويهيّج المشركين على قتال رسول الله ﷺ وقتله في داخل مكّة وخارجها، في القرى والأرياف، ويحشر الناس ويجمعهم لحرب رسول الله ﷺ. ففي أولى الحروب ضدّ رسول الله ﷺ وهي حرب بدر، جمع مجموعة من شباب المشركين من داخل مكّة المكرّمة وخارجها إلى بدر، واشترك هو بنفسه فيها. وكان في الطريق إلى بدر وفي المعركة، يهيّج الناس على حرب رسول الله ﷺ في أشعاره وخطبه أيضاً. علماً انّ التهييج الثقافي والفكري هو أقوى من المال والسلاح.

العفو عن العدو المحارب

انتهت حرب بدر بانتصار رسول الله ﷺ وانكسار المشركين، ففرّ منهم من فرّ، وقُتل منهم من قُتل، وأسر مجموعة منهم كان فيهم الشاعر أبو غرّة الذي كان في أشعاره يذمّ رسول الله ﷺ ويسبّه أيضاً. فما صنع به رسول الله ﷺ؟ وياترى ماذا يُصنع بمثل هذا الشخص في قانون الحروب؟ فهل هناك شيء غير القتل؟ ولكن عندما مثُل أمام رسول الله ﷺ جعل يتوسّل إلى النبيّ ﷺ

ويقول أنّ لي خمس بنات ليس لهنّ غيري، فتصدّق عليهنّ بإطلاق سراحي. فأطلق رسول الله ﷺ سراحه وشرط عليه، فأعطى أبو غرّة المواثيق لرسول الله ﷺ بأنّ لا ينظّم الشعر ولا يخطب ضدّ رسول الله ﷺ وعلى أنّ لا يهيّج الناس على الحرب. ورجع إلى مكّة من دون أن يفتدي على إطلاق سراحه بشيء، فقد منّ رسول الله ﷺ عليه بإطلاق سراحه.

إغراء لنكث العهود

بعدها وفي مكّة المكرّمة بدأ صفوان بن أميّة وأبو سفيان وغيرهم من الرؤوساء الذين كانوا يؤجّجون الحروب ضد رسول الله ﷺ، بدؤوا يستعدّون لحرب أخرى ضدّ رسول الله ﷺ التي صارت بعدها حرب اُحد. فجاء صفوان، كما هو في التاريخ، إلى أبي غرّة واستنهضه للحرب حتى ينظّم أشعاراً ضدّ رسول الله ﷺ ويخطب ضدّه داخل مكّة وخارجها. فقال لصفوان أنا أعطيت المواثيق لمحمّد على أن لا أهيّج عليه ولا أنظم ولا أخطب ضدّه. فقال له صفوان انّ هذه المرّة هي المرّة الأخيرة، فسوف لا يبقى محمّد بعد هذه الحرب سالماً وسيُقتل. وهكذا شجّعه وأعطاه الأموال وجعله ينظم ضدّ رسول الله ﷺ ويخطب داخل مكّة المكرّمة وفي القرى والأرياف ويجمع الناس للحرب التي كانت هي حرب اُحد.

تاريخ أسود

إنّ هذه المفردة الواحدة من تاريخ رسول الله ﷺ الفضيل في جميع مفرداته، أي في تعامله مع أبي غرّة، إذا نقيسها بسائر ما يصنعون في الحروب، لا نجد لها نظير. في حين، ومع شديد الأسف، الذين سمّوا بخلفاء رسول الله ﷺ، من بني

أميّة وبني العباس، فإنّ صنائعهم قد سوّدت صفحات التاريخ بعكس ما كان يصنع رسول الله ﷺ من العفو، بالمئات والمئات. ومفردة واحدة من صنائع بني العباس هي قصّتهم مع الشاعر دعبل الخزاعي.

دعبل هو من الشعراء المعروفين الذي من أكثر من ألف سنة وإلى هذا اليوم، قصائده الشعرية معروفة في التاريخ والكتب، وعلى الألسن، وحتى في هذه الأيّام نقلوا انّ بعض قصائده قد ترجمت إلى اللغات الأجنبية في الغرب، ويتدارسون بعض أشعاره. وهذا الشاعر النموذجي الكبير له كلمة تدلّ على مدى عنف وغلظة بني العباس، وهي كلمة معروفة وموجودة في كثير من التواريخ، وهي: منذ أربعين سنة أحمل خشبتي على ظهري. ويقصد من خشبتي خشبة الإعدام، أي هو ومنذ أربعين سنة، ليلاً ونهاراً، لا يعلم متى يأخذونه ويقتلونه. وقد عاصر دعبل، هارون والأمين والمأمون والمعتصم، وهذا يعني انّه خلال كل هذه الفترة كان يتوقّع دائماً أن يؤخذ ويُقتل، وذلك لأنّه وبسبب بيتين من الشعر نظمها في هجو هارون.

سبب انحسار الإسلام

ذات مرّة طلب المأمون من دعبل أن يقرأ له بعض أشعاره فامتنع دعبل لأنّه كان يخاف أن تكون هذه المرّة هي التي سيُقتل فيها. فأصرّ عليه المأمون، فقال له دعل أعطني الأمان، فقال له المأمون كلمة تدلّ على شدّة وغلظة وعنف هؤلاء العباسيين أيضاً، حيث قال لدعبل: آمنتك كما آمنتك على نفسك! ويعني اقرأ الأبيات وأنت الآن في أمان، وأنت مهدّد بالقتل.

فمعنى (أمنتك على نفسك) يعني آمنتك على وجودك وعلى بقائك حيّاً. وهذا الصنيع من بني العباس الذي كان يخالف صنيع رسول الله ﷺ في طول تاريخ بني أميّة وبني العباس، هو الذي جعل الإسلام ينحسر في الدنيا خلال هذه القرون، بعدما كان الإسلام في أيّام رسول الله ﷺ يدخلون فيه أفواجاً وأفواجاً، وذلك لما ظهر من رسول الله ﷺ من الفضيلة.

التاريخ الفضيل

لذا، يجب على الجميع أن يعرضوا مفردات تاريخ رسول الله ﷺ الفضيل كلّه، وفي كل مجال، وخصوصاً في مجال الحروب. ففي مجال الحروب عادة لا تظهر الفضائل، لأنّ الحرب، وفيها قتلى من هذا الجانب ومن ذاك. ولكن من جانب رسول الله ﷺ وفقط وفقط، الذي كان كلّه دفاعاً، لم يصدر من رسول الله ﷺ في تاريخ حياته غير الدفاع، وكذلك في تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام أيّأم حكومته الفضلى والفريدة في التاريخ. فبمجرّد أن كان يضع الطرف المقابل السلاح ويلقيه، كانت الحرب تنتهي عند رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولا يعاقبون حتى رؤوساء الحرب لا بقتل ولا بتعذيب ولا بسجن ولا بغرامة ولا بمصادرة وغيرها من لا ولا. وبالعكس ما كان يصنعه بنو أميّة وبني العباس ويسمّونهم خلفاء رسول الله ﷺ، ورسول الله بريء من أعمالهم. فدعبل وهو الرجل الكبير والعظيم يقول له المأمون (كما آمنتك على نفسك) يعني أنت مهدّد بالقتل وتستحقّ القتل ولكني لا أقتلك.

إذن، يجب على الجميع التعبئة لعرض تاريخ رسول الله ﷺ، خصوصاً تاريخ حروبه، ليعلم العالم والبشرية، في كل البلاد الإسلامية وغيرها في بلاد غير الإسلام انّ نبيّ الإسلام ﷺ كان مظهر الفضيلة والأخلاق بمقام لا تعرف فيه البشرية الفضيلة والأخلاق.

أسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق للجميع في ذلك.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

الليلة التاسعة

زيف الفتوحات الإسلامية

ملاك الحريّة بالإسلام

الإسلام دين الحريّة. وملاك الإسلام هو رسول الله ﷺ، وأقواله وأفعاله هي ملاك الإسلام أيضاً. وتظهر الحريّة، عمدة، في مسألة الحروب. وعادة تظلم الدول في الحروب كثيراً. ورسول الله ﷺ هو الوحيد الذي لم يظلم في الحرب أحداً. وبما انّ أمير المؤمنين عليه السلام هو نفس رسول الله ﷺ، كما صرّح القرآن الكريم، فهو عليه السلام الثاني بعد رسول الله ﷺ الذي لم تكن حروبه ظلم أبداً وإطلاقاً.

حقيقة الفتح الإسلامي

الفتح الإسلامي هو الفتح الذي يكون كفتح مكّة المكرّمة. فماذا قال، وماذا صنع رسول الله ﷺ عندما دخل مكّة المكرّمة فاتحاً؟ وهذا هو الملاك في الإسلام، وهذا هو الملاك للفتح الذي يسمّى بالإسلام. وأما الفتوحات التي تسمّى بالفتوحات الإسلامية في الكتب والمجلاّت فهذه ما كان منها على منهاج رسول الله ﷺ وبسنّة رسول الله ﷺ، فهذا يكون إسلامي. ولكن ومع شديد الأسف، انّ الفتوحات التي سمّوها بالإسلامية في أيّام بني أميّة وبني العباس بالخصوص، لا تشبه فتح مكّة المكرّمة.

في فتح مكّة المكرّمة، لم يكره رسول الله ﷺ أحداً على الإسلام. ولو كان رسول الله ﷺ في فتح مكّة المكرّمة يكره الناس على الإسلام لعلّ الألوف

من المشركين آنذاك كانوا جاهزين لأن يظهروا الإسلام، لكنه، أسلم بالألوف منهم، طوعاً ورغبة، لما رأوا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وتعامله بالفضيلة والحسنى. وعلماً انّ غيرهم لم يسلم. وبعد ذلك وخلال أكثر من سنة التي عاشها رسول الله صلى الله عليه وآله بعد فتح مكّة، فإنّ الناس كانوا يأتون أفواجاً وأفواجاً ويظهرون الإسلام، طوعاً ورغبة. وهذه هي الحريّة.

زيف الفتوحات المسمّاة بالإسلامية

إذن، الحريّة الحقيقية هي في أقوال رسول الإسلام وفي أفعاله، وإلاّ فإنّ هذه التي تسمّى بالفتوحات الإسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم تكن واحدة منها في أيّام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. فالإمام عليّ عليه السلام كانت حروبه كلّها كحروب رسول الله صلى الله عليه وآله دفاعيّة كلّها. والإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يحارب أبداً وقط دون أن يبدأ الطرف المقابل بالحرب. ولم يأتي أمير المؤمنين عليه السلام بجيش إلى مدينة أو قرية أو ريف ويأمرهم بالإسلام، فإذا لم يسلموا حاربهم. فهذه الصنائع كانت من صنائع بني أميّة وبني العباس، ويسمّونها بالفتوحات الإسلامية، بل وأكثر من ذلك، ومن المؤسف جدّاً، أنّه وبالعشرات والعشرات، في الفتوحات التي سمّيت بالإسلامية لم يكن مجردّاً الإكراه على الإسلام، بل كان هناك تعذيب وإيذاء وقتل بالألوف والألوف.

من جرائم الفتوحات الزائفة

جاء في التاريخ، أنّ أحد الذي يسمّى في التاريخ بالحاكم الإسلامي، ويسمّى فتحه ضمن الفتوحات الإسلامية، قد جاء إلى مدينة أو قرية، وكان نفوسها خمسون ألف من الرجال والنساء والأطفال، كما ذكرت مختلف

كتب التاريخ. وكان أغلب الدور في ذلك الزمان، من الخشب، فلم يستسلم أهلها لذلك الحاكم، فأمر ذلك الحاكم بأن يُكبس على أهلها ويُرشّ عليهم الزيت ويشعلوا النار فيهم، ففعلوا، وأحرقوا القرية كلّها، بدورها ومن فيها، فاحترق خمسون ألف من الرجال والنساء والأطفال بالنار وماتوا. وهذا يعتبروه من الفتوحات الإسلامية! فمتى صنع رسول الله ﷺ مثل هذا؟ وهكذا بالنسبة إلى آخر من أحد الحكّام، ذكروا عنه أنّه أتى إلى فلان المدينة، فلم يستسلموا له، فأمر بحفر حفيرة كبيرة، وألقوا فيها عشرون ألف، ودفنوهم وهم أحياء! وأمثال ذلك عديد وكثير.

التمييز بين الفتح الحقيقي والزائف

لذا، يجب أن يعرف العالم انّه ماهو الفتح الإسلامي؟ وما هو الفتح الذي ليس إسلاميّاً وسمّي بالإسلام زوراً؟ ففي هذا اليوم الذي تتوفّر فيه الوسائل بنسبة عند المؤمنين وعند المسلمين، على الجميع أن يحاولوا أن يميّزوا ويفصلوا بين رسول الله ﷺ وتعامله، وبين من تسمّوا بالخلفاء لرسول الله ﷺ، ممن لا يشبه عملهم عمل رسول الله ﷺ، بل كان بالعكس من عمل رسول الله ﷺ. وأقوالهم لا تشبه أقوال رسول الله ﷺ بل كانت بالعكس منها.

الرحمة والرفق بالفتح الحقيقي

كان رسول الله ﷺ يدعو إلى الرحمة والرفق وإلى اللطف وإلى الفضل ويعمل ذلك. ولم تجد في العشرات والعشرات والعشرات من مفردات تاريخ رسول الله ﷺ، وخصوصاً في الحروب التي هي مثار المظالم الكثيرة، انّه ﷺ عمل بشيء من المظالم على شخص واحد إطلاقاً،

ولا بأمر منه. حتى انّه ذات مرّة، وعلى خلاف رسول الله عليه وآله صنع خالد بن الوليد شيئاً، فأعلن رسول الله ﷺ عند الملأ انّه بريء مما فعله خالد، حيث قال: اللهم إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد.

الواجب اليوم

في دنيا اليوم، كثيرة هي الشبهات، ويُتّهم رسول الله ﷺ، ويتهم الإسلام بصنيع من تسمّوا بخلفاء رسول الله ﷺ وهم ليسوا بذلك. فيجب أن يفصل بين التاريخ الصحيح لرسول الله ﷺ وبين ما عمله باسم الإسلام غير رسول الله ﷺ، وبما لا يشبه عمل رسول الله ﷺ، يجب أن يفصل في الإعلام العالمي عبر الفضائيات وعبر وسائل التواصل الاجتماعي وعبر المجلاّت والكتب، وهذه فريضة على الجميع على سبيل الكفاية، علماً أنّه لا يوجد من فيه الكفاية.

كم نسبة من العالم يعرفون مثل تلك الأمور التي ذكرناها آنفاً؟ وهذا مما يجب أن يُعرض على العالم، وأن يطرح على العالم والبشر. ويجب ذلك على المسلمين أنفسهم جميعاً، خصوصاً الشباب المؤمن الغيارى، حتى شيئاً فشيئاً، يتعلّم العالم الإسلام الذي مثّله رسول الله ﷺ، ومثّله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو نفس رسول الله ﷺ بصريح القرآن، وبأنّ هذا الإسلام هو غير الإسلام الذي عرضه وطرحه ممن يسمّون بالخلفاء وهم ليسوا بخلفاء لرسول الله ﷺ.

أسأل الله سبحانه وتعالى في هذا الشهر الفضيل، شهر رمضان المبارك، أن يوفّق لذلك الجميع.

وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

الليلة العاشرة

عظيمة هي خديجة وعظيمة

لا نظير لخديجة

بعد وفاة خديجة سلام الله عليها بسنوات، قالت أمّ سلمة أنّه ذكرنا اسم خديجة لرسول الله صلى الله عليه وآله، فبكى وقال: (**خَديجَةَ وَأيْنَ مِثْلُ خَديجَةَ**). ثم قال صلى الله عليه وآله: (**صَدّقَتْنِى حِينَ كَذّبَنِى النّاسُ وَوَازَرَتْنِى عَلَى دِينِ اللهِ وَأَعَانَتْنِى عَلَيْهِ بِمَالِهَا**)[1]. وهذا التعبير من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يقول عنه القرآن الحكيم: (**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**)[2]. ويعني أنّ كل كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله هي وحي ومن عند الله عزّ وجلّ.

إنّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله (**وَأيْنَ مِثْلُ خَديجَةَ**) هو استفهام، ويقال عنه في العلوم العربية إنكار إبطالي، يعني استفهام بالظاهر ولكنه كناية عن إنكار هذا المطلب، وإبطاله، أي بطلانه. ومعناه: ليس مثل خديجة أحد. أي لا يوجد مثلها. وهذا التعبير من رسول الله صلى الله عليه وآله لعله لم يصدر عنه مثله لغير المعصومين لأحد، أي لشخص آخر. وأما المعصومون الأربعة عشر عليهم السلام فهم خارجون بالتخصّص كما هو معلوم في الأدلّة القطعية المتواترة من القرآن الكريم والروايات المتواترة. فلا يوجد مثل خديجة في البشر وفي الملائكة.

---

١. بحارالأنوار، ج٤٣، ص١٢٤.

٢. سورة النجم، الآية ٤.

ثم ذكر رسول الله ﷺ ثلاث كلمات هي بمثابة جزئيات وأسباب لقوله (**وَأَيْنَ مِثْلُ خَدِيجَةَ**). فقد قال ﷺ: صدّقتني حين كذّبني الناس.

أوّل مسلمة

كان أوّل من أسلم بالظاهر هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو مسلم بالأزل، يعني من يوم خلق الله عزّ وجلّ المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام في عالم النور، هم مسلمون. وكان عمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عشر سنوات في اليوم الذي أعلن فيه رسول الله ﷺ الإسلام أوّل البعثة. والثاني ممن أسلم هي خديجة عليها السلام، وبعدها أبو طالب وبعده شيئاً فشيئاً بعض المسلمين. وقوله ﷺ (**صَدَّقَتْنِي**) يعني على النبوّة وآمنت بي حين كذّبني الناس، أي حين كذّب رسول الله ﷺ الناس، ومنهم من أقربائه وأكثر قريش، وحتى بنو هاشم، وأكثر عشيرة رسول الله ﷺ.

ذكر التاريخ انّ للنبيّ ﷺ كان عشرة أعمام أو تسعة، وأسلم منهم ثلاثة وهم أبو طالب وحمزة والعباس الذي أسلم في المدينة المنوّرة بعد ما جاء به المشركون إلى حرب رسول الله ﷺ، وأُسر في الحرب، فأسلم بعدها. والباقي الستة لم يسلموا، ولم يذكر التاريخ إسلام أحد من الستة. فأكثرهم كذّبوا رسول الله ﷺ وهم أعمامه، وكذلك كذّبه أولادهم. وذكروا انّ للنبيّ ﷺ ست عمّات، ثلاث منهنّ أسلمن، وثلاث لم يسلمن.

الناصرة بأموالها

قوله ﷺ (**وَوَازَرَتْنِي عَلَى دِينِ اللهِ**) أي أعانتني بمالها. فقد كانت خديجة، لعلّها، أكثر مالاً من أي شخص آخر، في كل الحجاز والجزيرة العربية. فلقد كان تجّار قريش عمّالاً عند خديجة، حيث كانوا يأخذون الأموال منها ويتاجرون بها، ثم يأخذون قسماً من الربح، ويعطون لخديجة قسماً آخراً.

حتى ذكروا أنّه ذات يوم جاء التجّار بأموال خديجة، أي بأصل الأموال وأرباحها التي تتعلق بخديجة، وكانت الأموال ذلك الزمان دراهم ودنانير من ذهب وفضّة. فأداروا (وضعوها) الأموال بين الجالسين، فصارت مجموعة كثيرة وارتفعت بحيث الجالسون في طرف الأموال لم يروا الجالسين في الطرف الآخر والجانب الآخر من الأموال، أي صارت حائلاً بينهم! وكان هذا قسم من أموال خديجة عليها السلام.

لقد بذلت خديجة عليها السلام كلّ مالها في سبيل رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث صرفها النبيّ في مكّة المكرّمة على المؤمنين وغيرهم، وعلى المسلمين وغير المسلمين، أي لكل من يحتاج ولكل فقير ولكل من طلب المال. وما بقي من الأموال صرفت في أيّام شعب أبي طالب. وكانت خديجة في الشعب، وبذلت آخر دينار ودرهم لها في الشعب الذي كان فيه مجموعة ممن أسلموا وآمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله من بني هاشم وغيرهم. فبذلت خديجة عليها السلام أموالها على اولئك حتى انتهت، بحيث بقيت خديجة لا تحصل على وجبة أكل، وهي في الشعب، ولم تبدي ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله حتى مرّة واحدة.

عظيمة هي وعظيمة

إنّ كل كلمة من كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله التي قالها بحقّ خديجة عليها السلام، هي عالم من العظمة، وهي من فم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)[1]. فعظيمة هي خديجة وعظيمة.

---

١. سورة النجم، الآية ٣.

لقد حزن على خديجة المعصومون الأربعة عشر عليهم السلام، أي زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله، وصهرها أمير المؤمنين، وابنتها السيّدة فاطمة الزهراء، وأولادها الأحد عشر المعصومون عليهم السلام.

ينبغي إحياء ذكرى وفاتها

لذا، ينبغي وبمقتضى (**يَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا، وَ يَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا**) على المؤمنين والمؤمنات، في كل مكان، في أرجاء العالم، أن يظهروا الحزن في وفاة خديجة وفي أيّام وفاتها. وينشروا وفاة خديجة في أطراف العالم، عبر الفضائيات والجرائد والمجلاّت والكتب والتمثيليات، وفي مختلف وأنواع النشر. فزكاة العلم نشره، أي كل ما يعلمه الإنسان هو مما ينبغي نشره. وهذا مما ينبغي نشره بكل تأكيد. وكذلك عليهم أن يتّخذوا يوم رحيل خديجة عليها السلام يوم وفاة، ويعقدون المجالس. فلا شكّ انّ يوم وفاة خديجة هو يوم حزن للمعصومين الأربعة عشر كلّهم عليهم السلام.

أسال الله عزّ وجلّ أن يوفّق الجميع في كل مكان من أطراف الدنيا لإقامة مراسيم العزاء والحزن بمناسبة وفاة أمّ المؤمنين خديجة عليها السلام..

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

الليلة الحادية عشرة

خديجة أسوة المعالي

المحترمة عند الجميع

كانت أمّ المؤمنين خديجة عليها السلام محترمة في الحجاز عند الجميع، الرجال والنساء، ولم تك امرأة بمستواها في الاحترام، بل كانت محترمة حتى أكثر من الرجال. ولكنها وبسبب زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله، خصوصاً بعد ما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وأعلن الإسلام وكانت خديجة أوّل امرأة أسلمت على يد رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعد أن ضحّت بكل ما كان عندها من أموال واحترام في المجتمع وفي الحجاز كلّه، ابتعدوا عنها.

الناصرة المضحيّة

كانت أموال خديجة عليها السلام كثيرة وكثيرة، وكانت أكثر شخصية تملك الحجم الكبير من الأموال. وقد وضعت أموالها كلّها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي كان يوزّعها على المحتاجين والضعفاء والمساكين في مكّة المكرّمة، وعلى غيرهم ممن يأتون إلى مكّة. وبعد ذلك بقي شيء من المال عندما قاطع المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله وكل بني هاشم وأعلنوا انّه من يرى منهم من الرجال والنساء في مكّة المكرّمة يتعرّض للقتل. فاضطر رسول الله صلى الله عليه وآله ومن معه من بني هاشم أن يذهبوا إلى شعب أبي طالب عليه السلام خارج مكّة، وبقوا هناك ثلاث أو أربع سنوات، في مكان لا يظلهم فيه سقف، وتحت حرارة الشمس

في فصل الصيف، وتحت المطر في فصل الشتاء. وما بقي من أموال خديجة انتهى على يد رسول الله ﷺ في الضعفاء. وكل الذين كانوا في الشعب كانوا من الناحية المالية ضعفاء. وانتهت أموال خديجة ولم يبقى عندها حتى بمقدار دينار واحد ودرهم واحد. فكل أموالها صرفها رسول الله ﷺ.

يلومونها لتضحيتها

كذلك نتيجة زواج خديجة عليها السلام من رسول الله ﷺ صار الرجال والنساء في مكّة المكرّمة يلومونها، وذلك:

أولاً: لأنّ الرجال يطلبون الزواج من النساء، فكيف أقدمت خديجة على الزواج من رسول الله ﷺ، حتى انّ بعضهم لام خديجة عند أبي طالب عليه السلام، فقال لهم: إن كان الرجل مثل ابن أخي فالنساء يقدمن على الزواج منه.

ثانياً: لام النساء خديجة والرجال أيضاً، لأنّها هي بذلت مهر نفسها وأرسلته إلى أبي طالب عليه السلام، وكما في الأحاديث الشريفة والتواريخ، أرسلت أربعة آلاف دينار من ذهب حتى يجعلها رسول الله ﷺ مهراً لخديجة، وكان هذا المبلغ يعادل القوة الشرائية ذلك الزمان، بأربعين ألف درهم. فأرسل رسول الله ﷺ إليها خمسمئة درهم كمهر من المبلغ المذكور لكي يؤسّس رسول الله ﷺ بهذا العمل مهر السنّة. وقد جرى على ذلك كل المعصومين عليهم السلام ولا يزال هذا الأمر من المستحبّات الأكيدة في الإسلام.

قاطعوها لزواجها من النبيّ

كما كانوا يلومون السيّدة خديجة عليها السلام على انّ رسول الله ﷺ لم يك عنده شيء من الأموال ولا ذهب ولا فضّة، وأنّه يتيم الأبوين، وكان في كفالة عمّه

أبي طالب عليه السلام، وأبو طالب لم يك عنده مال أيضاً، حتى عُرف أنّه ماساد فقير قط غير أبي طالب عليه السلام، وكانوا يعبّرون عن رسول الله صلى الله عليه وآله بيتيم أبي طالب، ويعني يتيم تكفّله أبو طالب عمّه عليه السلام. فكانوا يلومون خديجة لذلك، رجالهم ونساءهم. وبالنتيجة قاطعوا خديجة حتى انّه في ولادتها لمولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، لم يأت عند خديجة أقرب القريبات إليها من الرجال القريبين إليها، فأرسل الله سبحانه وتعالى مريم وغيرها والملائكة إلى عند خديجة عليها السلام ليحضرن أمر الولادة.

أسوة المعالي

هكذا ضحّت السيّدة خديجة عليها السلام بكل شيء من أجل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن أجل الإسلام، حتى عُرف بأنّه لولا سيف علي عليه السلام في الدفاع عن الإسلام ورسول الله صلى الله عليه وآله، ومال خديجة ما استقام الإسلام. وهذه عبرة لجميع النساء والرجال، وبالأخص النساء. فعلى النساء أن يتعظن من خديجة ويتخذنّ منها عليها السلام بعد مولاتنا وسيّدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، أسوة.

إذا النساء رأين أزواجهنّ أو آباؤهنّ أو أولادهنّ أو أقربائهنّ من الرجال، يعملون للإسلام ولخدمة أهل البيت عليهم السلام، فليساعدن في ذلك الرجال ويضحين من أجل خدمة الإسلام وخدمة أهل البيت عليهم السلام. وكذلك بالعكس، أي إذا رأى الرجال بعض نسائهم من زوجة وأخت وبنت وأمّ تخدم الإسلام وأهل البيت عليهم السلام، فليشجعوا النساء على ذلك ويقوون عزيمتهنّ، ولا يكون الرجال من المثبّطين للنساء في ذلك. كما انّ النساء من الأولى لهنّ أن يجعلن خديجة عليها السلام أسوة لهنّ، وأن تكون عليها السلام عبرة للجميع، للنساء والرجال.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّق جميع المؤمنين والمؤمنات في كل مكان وزمان، في البلاد الإسلامية والبلاد غير الإسلامية، للتضحية بما يمكنهم من التضحية، في سبيل خدمة الإسلام وخدمة أهل البيت عليهم السلام، وهذه وظيفة واجبة على الجميع.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين.

الليلة الثانية عشرة

في الإسلام لايُقتل الجاسوس!

من مفاخر النبيّ

من مفاخر الإسلام، بل من مفاخر التاريخ، قصّة تعامل رسول الله ﷺ مع حاطب بن أبي بلتعة وسارة المشركة.

كان حاطب بن أبي بلتعة من المشركين الذين أسلموا على يد رسول الله ﷺ، وكان في المدينة المنوّرة مع النبيّ ﷺ، وكان له أقرباء في مكّة المكرّمة وكانوا من المشركين، كمجموعة أخرى من المسلمين في المدينة المنوّرة الذي لهم أقرباء مشركون في مكّة.

بعد مضي سنوات عن بقاء رسول الله ﷺ في المدينة المنوّرة، وإثارة مشركي مكّة الحروب على رسول الله ﷺ، الواحدة تلو الأخرى، في بدر واُحد وحنين وغيرها وغيرها، وقيام النبيّ ﷺ بالدفاع في كل وجميع تلك الحروب، وانتصاره فيها، وانكسار المشركين، تعب المشركون قبيل فتح مكّة المكرّمة، ولم يثيروا بعد حرباً على رسول الله ﷺ، على الأقلّ من مكّة، وإن كانوا يثيرون اليهود والذين كانوا في أطراف المدينة المنوّرة من غيرهم أيضاً وبعض قبائل المشركين في خارج مكّة.

قصّة جاسوس وجاسوسة

مضت فترة ليست بالقصيرة ولم يك للمشركين في مكّة علم بما يقوم به رسول الله ﷺ للمستقبل. فجاؤوا إلى بعض أقرباء حاطب بن أبي بلتعة في مكّة، وطلبوا منهم أن يكتبوا إلى حاطب ليكتب لهم عن أخبار رسول الله ﷺ وأنّه ماذا يصنع وماذا يريد. فكتبوا إلى حاطب باعتباره في المدينة المنوّرة وعند رسول الله ﷺ، وبعثوا الرسالة مع امرأة مشركة وكانت مغنّية ومعروفة في ذلك الوقت بمكّة بما لا يحمد وكان اسمها سارة، وأعطوها الرسالة.

جاءة سارة بالرسالة إلى المدينة وأوصلتها لحاطب، فكتب الأخير في جواب الرسالة للمشركين كلمات وهي انّ النبيّ يريدكم فخذوا حذركم. وأعطى الرسالة إلى سارة لتذهب بها إلى المشركين في مكّة. ومنذ قبل يعلم رسول الله ﷺ كل شيء بإذن الله عزّ وجلّ، كما تذكر الروايات الشريفة، ومنها: (**كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين**). ولكن لم تك من عادة المعصومين عليهم السلام أن يظهروا علمهم الواقعي غالباً إلاّ نادراً.

كانت سارة قد جاءت إلى المدينة وفي الطريق التقت برسول الله ﷺ، فقال لها: هل جئت مؤمنة؟ أي هل آمنت وأسلمت وتركت مكّة؟ قالت لا. فقال لها هل جئت مهاجرة؟ قالت لا، فقال لها فما الذي جاء بك. فلم تقل بأنّها تحمل رسالة إلى حاطب من المشركين بل قالت جئت من الفقر إلى المدينة. فتبسّم رسول الله ﷺ، وقال لها كلمة تدلّ على ما لاتحمد عليها سارة في مكّة. ولكن أمر رسول الله ﷺ بأن يعطوا لسارة ركوب وأموال

وملابس، وهي حاملة لرسالة فيها كشف الأسرار الحربية في وقت الحرب. فلم تك هناك هدنة بين رسول الله ﷺ والمشركين. فالمشركون لم يتركوا رسول الله ﷺ، ولكن في ذلك الوقت كانوا لا يملكون ما يثيروا به حرباً أخرى على رسول الله ﷺ.

النبيّ يكشف التجسّس

ذكرت كتب التفاسير والأحاديث والتواريخ، انّ حاطب أعطى سارة عشرة دنانير من ذهب، وأوصاها بأن تتنكّب الجادة، أي الطريق المعروف بين المدينة ومكّة، وأن تسلك طريقاً آخراً غير معروف، حتى لا ينكشف أمرها. فسلكت سارة طريقاً غير مألوف، وبعد مدّة أرسل رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام مع جماعة آخرين من الأصحاب وكان فيهم الزبير، وأخبرهم بأنّ سارة تحمل رسالة من حاطب إلى المشركين في مكّة فاذهبوا إليها وستجدونها في فلان المنطقة، وخذوا الرسالة منها وأتوني بها. فذهب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه إلى سارة، والتقوا بها وهي تذهب مسرعة إلى مكّة، فأوقفوها وطلبوا منها أن تخرج الرسالة، فنكرت ذلك. وكلما قالوا لها أخرجي الرسالة أنكرت أشدّ الإنكار. فطلب بعض الأصحاب منها أن تنزل، فنزلت وفتّشوها وفتشّوا ما على راحلتها فلم يجدوا شيئاً، فقالوا لأمير المؤمنين عليه السلام لنرجع فلم نجد عندها شيئاً. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله ﷺ، لا يقول شيئاً خلاف الواقع، فقطعاً معها رسالة. فجاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى سارة وتكلّم معها بشدّة، فقالت تنحّوا عنّي، فانعزلت في أمتار، وفتحت غطاء رأسها وأخرجت الرسالة من داخل شعر رأسها وأعطتها للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وجاء بها إلى رسول الله ﷺ.

العفو عن الجاسوس!

إنّ جاسوسة مشركة تحمل أسرار الحرب في وقت الحرب، وجاسوس مسلم في داخل المسلمين يكشف أسرار الحرب إلى المحاربين المشركين، في مكّة، فما حكمهما، في القوانين الدولية وقوانين العالم وقوانين ذلك الزمان وهذا الزمان الحالي؟ ولكن ومع علمه بذلك لم يصنع رسول الله ﷺ شيئاً سلبياً مع سارة، ولم يصنع مثله مع حاطب بن أبي بلتعة ولم يقتله، بالرغم من انّ بعض المسلمين اقترحوا على رسول الله ﷺ قتله. ولكن وعلى العرف المعروف في ذلك الزمان، لم يقتل رسول الله ﷺ حاطب ولم يسجنه ولم يعذّبه ولم يأذن بشيء سلبي بالنسبة إليه ولم يصادر أمواله.

أليست هذه مفخرة من مفاخر التاريخ؟ وأين يوجد مثلها في التاريخ؟

أليس رسول الله ﷺ رسول الفضيلة والإنسانية؟

الملاك في الإسلام

إنّ هذه المفردة الواحدة هي من المئات والمئات من الفضائل في تاريخ رسول الله ﷺ. وهو ﷺ الملاك في الإسلام. فالملاك في الإسلام ثلاثة فقط وفقط، وهي:

الأول: كلام الله عزّ وجلّ أي القرآن الكريم. ويقول عزّ من قائل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

الثاني: رسول الله ﷺ.

الثالث: العترة الطاهرة من رسول الله ﷺ، حيث قال: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. ولا رابع لذلك، وهذا هو الملاك فقط.

بلى، لم يقتل رسول الله ﷺ الجاسوسة المشركة، ولا الجاسوس المسلم. ولم يك حاطب جاسوساً فقط بل إنّه كشف أسرار الحرب في وقت الحرب.

---

١. سورة الأحزاب، الآية ٢١.

نظام فيه سعادة البشرية

إنّ هذا النظام الذي صنعه نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله، إذا حكم به العالم أو يحكم على العالم، فهل ستبقى هناك مشكلة حروب في العالم؟ وهل سيبقى هناك قتل وظلم وحرمان؟ وما الذي يجب على المسلمين أن يصنعوا بتاريخ رسول الإسلام صلى الله عليه وآله؟ سوى أن ينشروا هذا التاريخ في أوسع وأعمق نشر، وخصوصاً في هذا الزمان. فهذه القصّة وحدها، وهي تعامل رسول الله صلى الله عليه وآله مع جاسوسة مشركة وجاسوس مسلم، إن تعرض على العالم في أفلام وفي الفضائيات وفي مختلف الوسائل، ستؤثّر في العالم. ومقدّمات هذا التأثير هي وظيفة كفائية ومادام من ليس فيه الكفاية تكون هذه الوظيفة واجب عيني.

إنّ مجموعة من كبار فقهاء الإسلام بالنسبة إلى عمل رسول الله صلى الله عليه وآله الذي مرّ ذكره، صرّحوا أنّه لا يجوز قتل الجاسوس في الإسلام، ومنهم الشيخ الطوسي رحمه الله في كتابه المبسوط، يقول: وإذا تجسّس مسلم لأهل الحرب لم يحلّ قتله، لأنّ حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكّة كتاباً يخبرهم بخبر المسلمين فلم يستحلّ النبيّ صلى الله عليه وآله قتله. وأما الذين قالوا بقتل الجاسوس فهي قوانين البشر لا قانون السماء. ومع الأسف رأيت في الآونة الأخيرة بعضاً من المسلمين كتب في قصّة حاطب وحكم بأنّه يجب قتل مثل حاطب!

بلى، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقتل حاطب، والملاك هو، وهذا الملاك.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّق المسلمين، وخصوصاً الشباب الغيارى في البلاد الإسلامية وغيرها، لنشر ثقافة رسول الله صلى الله عليه وآله. فبمقدار ما يُنشر منها وتعمّ في أرجاء الأرض، يكون التأثير في رفع المشاكل المختلفة عن العالم.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين.

الليلة الثالثة عشرة

درس للحكّام

شروط بيعة النساء

في فتح مكّة المكرّمة، عندما أراد رسول الله ﷺ أن يبايع الرجال والنساء، ورد في الأحاديث الشريفة وفي التواريخ، أنّه ﷺ جلس في المسجد الحرام وبايع الرجال، صباحاً إلى صلاتي الظهر والعصر. وبعدها صار الدور لبيعة النساء، فقال ﷺ أنّه لا يصافح النساء، لأنّ البيعة مع الرجال كانت بالمصافحة، أي كان ﷺ يفتح يده الكريمة ويصافح الرجال. وفي بيعة النساء أمر رسول الله ﷺ بأن يوضع طشت فيه ماء، ويضع رسول الله ﷺ أصابعه الكريمة في طرف الطشت في الماء، والنساء يضعن أطراف أصابعهنّ في الطرف الآخر من الطشت.

ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. وهذه الشروط جعلها الله عزّ وجلّ لبيعة النساء مع رسول الله ﷺ. فذكر النبيّ هذه الشروط للنساء وقت البيعة. وكان النساء في الجاهلية يقتلن الأولاد وليس البنات فقط، بل الإناث والذكور أيضاً. فالولد في اللغة العربية أعمّ من الذكر والأنثى. وكانوا

---

١. سورة الممتحنة: الآية ١٢.

يقتلون الإناث والذكور للفاقة أي للفقر كما ذكره القرآن الكريم أيضاً. وكانت هند بنت عتبة زوجة أبو سفيان وأمّ معاوية موجودة في النساء، ولما وصل رسول الله ﷺ إلى قوله تعالى: (وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ)، قالت لرسول الله ﷺ بكل جرأة وجسارة: ربّيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً. ويعني أنت قتلت الأولاد وهم كبار. فلقد كان من قتلى حرب بدر حنظلة ابن هند والأخيرة قصدته بكلامها.

عائلة .. عدوّ كلّها

إنّ أبي سفيان وهند وأبناؤهما حاربوا رسول الله ﷺ أكثر من عشرين سنة، من أوّل البعثة حتى فتح مكّة المكرّمة، بأنواع الحروب، وفي أول الحروب ضد رسول الله ﷺ وهي حرب بدر، اشترك أبو سفيان وهند وابنهما حنظلة وقتل فيها. وعلى التاريخ أن يسأل من هند: أين قُتل حنظلة ابنك؟ فلقد كان رسول الله ﷺ في المدينة المنوّرة، وكانت هند وأبو سفيان وأولادهما في مكّة، ولم يقتل حنظلة في مكّة أو في أطرافها. وعلى التاريخ أن يسأل أيضاً: وهل جاء رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكّة وقتل حنظلة أم انّ حنظلة قتل في بدر؟ وأين كانت بدر؟ فلقد كانت بدر في أطراف المدينة المنوّرة، وهم، أي أبو سفيان وهند وحنظلة والمشركون، قد جهّزوا الجيش ضد رسول الله ﷺ وأرادوا قتل النبيّ، وكانوا يشجّعون على قتله، وخرج رسول الله ﷺ من المدينة للدفاع. ولكن الله تعالى نصر نبيّه في الحروب ومنها بدر.

جواب الأحمق!

إنّ الذي يتعرّض لهجوم، من البديهي أن لا يقف مكتوف اليد، بل عليه أن يدافع، وهكذا دعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى الدفاع. وفي حال الدفاع عن

أنفسهم وعن المسلمين وعن الإسلام وعن الدين، قُتل حنظلة وغيره من المشركين الذين أثاروا الحرب وبدؤوها ضدّ رسول الله ﷺ. ولكن هكذا تتجرّأ هند على أن تخاطب رسول الله ﷺ بذلك الخطاب. ولم يردّ رسول الله ﷺ عليها حتى بكلمة واحدة. وقد ورد في الآثار: (ما عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه). والأحمق هو الذي يتكلّم بشيء غير صحيح. فأي عرف هذا وفي أيّ عرف وأيّ منطق أن يسمّى من يتعرّض للهجوم ويدافع عن نفسه بأنّه قاتل؟! ولكن خلق رسول الله ﷺ الرفيع وأنّه (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) جعل مثل هند وهي في موقع الذلّ والضعف، تستطيع أن تتجرّأ بمثل ذلك الخطاب على رسول الله ﷺ.

درس للحكّام كافّة

رسول الله ﷺ أسوة يُقتدى به، ويتعلّم منه، وقد أمر القرآن الكريم البشر جميعاً، والمسلمين خاصّهم وهم أولى بذلك، بأن يتعلّموا منه ﷺ. فالنبيّ ﷺ ليس للمسلمين فقط، بل هو كما ذكر القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1]. فعلى البشر أن يتعلّموا من رسول الله ﷺ الذي كان في ذلك الوقت في موقع الحاكم الشرعي، واقعاً وظاهراً.

لذا، على الحكّام في العالم، أن يتعلّموا من نبيّ الإسلام ﷺ، وخصوصاً في البلاد الإسلامية. فإذا تكلّم أي شخص بكلمة فعلى الحكّام أن لا يثوروا ولا يعاقبونه، بل عليهم أن يتحمّلوا ويتحلّوا بالتحمّل. فيجب على رئيس الجمهورية، سواء في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، أن يكون حليماً ويتحمّل، ويتعلّم من رسول الله ﷺ.

---

١. سورة الأعراف، الآية ١٥٨.

آكلة الأكباد

لقد كانت هند وأبو سفيان وعائلتهما في طليعة المحرّضين على قتل رسول الله ﷺ وإبادة الإسلام. فقد جاء في التاريخ، أنّه في وسط المعركة والقتال، كانت هند موجودة وبيدها مكحلة، وكانت كلما ترى أحد من المشركين قد تعب من القتال ويولّي فارّاً ومنهزماً، كانت تأتيه بالمكحلة وتخاطبه بأنّك أصبحت كأمرأة ويجب عليك أن تكتحل عينيك. وهند هي التي أمرت وحشي في حرب أُحد أن يشقّ صدر حمزة سيد الشهداء عليه السلام عمّ الرسول ﷺ وأخرجت كبد حمزة وجعلته في فمها وأرادت أن تأكله ولكنها لم تستطع، حتى لُقّبت في التاريخ والأحاديث الشريفة وفي شتى كتب المسلمين بآكلة الأكباد وأبناؤها بأبناء آكلة الأكباد.

لكي ينجو العالم من المشاكل

إنّ رسول الله ﷺ أسوة في كل شيء، للجميع، وبالخصوص للحكومات والحاكمين. فيجب على الجميع نشر آثار رسول الله ﷺ وأخلاقه وفضائله وتاريخه، حتى لعلّه وشيئاً فشيئاً، يتعلّم من رسول الله ﷺ البشر أمثال ذلك. فبمقدار نسبة ما يتعلّمون، تقلّ المشاكل المختلفة في المستقبل وتخفّ، أي المشاكل التي ابتلي بها العالم كلّه وبأسره، وتزيد يوماً بعد يوم، من مشاكل اقتصادية واجتماعية وعائلية مختلفة ومن حروب.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّق الجميع للقيام بهذه الفريضة.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين.

الليلة الرابعة عشرة

العفو عن المعارضة المجرمة والحربي

في فتح مكّة، لما أشرف رسول الله ﷺ بالألوف من أصحابه على مكّة، كانت راية النبيّ بيد سعد بن عبادة الذي كان من الأنصار، أي من أهل المدينة المنوّرة ممن أسلم على يد رسول الله ﷺ في المدينة، وكان سعد زعيماً في الأنصار. وقبل أن يدخل رسول الله ﷺ مكّة، دخلها سعد براية رسول الله ﷺ منتصراً وجعل يهزّها ويسير في أزقّة مكّة وسككها ويصيح: اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبى الحرمة.

العفو عن الحربيين المجرمين

هاتان الكلمتان كانتا إنذاراً مرعباً ومخيفاً للجميع. فالملحمة كناية عن انّنا سنقتل بمقدار حيث يقع القتلى بعضهم فوق بعض. وتسبى الحرمة يعني لا تبقى حرمة في مكّة، ونتجاوز الحرمات. وبهذا النداء من سعد، وكما ورد في الروايات والتواريخ، دخل الرجال والنساء في مكّة بيوتهم من الخوف والذعر، لأنّ معظم أهل مكّة كانوا قد تعاملوا سلبياً مع رسول الله ﷺ يوم كان في مكّة، وكانوا ضدّه وكانوا يتعاملون معه بخشونة، واشتركوا في العشرات من الحروب ضدّ رسول الله ﷺ، وكانوا يتوقّعون انّ هذا المظلوم المنتصر وهو رسول الله ﷺ والمظلومون المنتصرون الذين لحقهم من المشركين في الحروب الظالمة مختلف أنواع الأذى، انّهم سينتقمون من أهل مكّة. فجاء أبو سفيان الذي أسلم

قبل ساعات من فتح مكّة، مسرعاً إلى رسول الله ﷺ لأنّه يعرف نفسية رسول الله ﷺ أكثر من الآخرين، ويعرف انّ هذا النداء من سعد لا يناسب أسلوب رسول الله ﷺ الذي هو أسلوب القرآن الكريم ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾[1]. وأخبر رسول الله ﷺ بما يقوله سعد وأخبره بأنّ الأخير قد أرعب الجميع. فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام أن اذهب وخذ الراية من سعد وأدخلها رفيقاً أو ادخلها رفيقاً (أيّ مكّة) يعني برفق ولين ولطف. فذهب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ الراية من سعد ودخل مكّة المكرّمة وجعل يسير برفق ولطف في أزقّتها وينادي: اليوم يوم المرحمة، اليوم تصان الحرمة.

الرحمة للجميع

المعنى من (المرحمة) أي اليوم نظهر الرحمة بالنسبة لمن ظلمونا. و(تصان الحرمة) أي لا نتجاوز الحرمات. فخرج الناس من بيوتهم، رجالاً ونساء، حتى اولئك الذين اشتركوا في الحروب ضدّ رسول الله ﷺ وأمنوا على أنفسهم وأموالهم ونسائهم. ولكن كبار قريش الذين كانوا هم وراء العشرات من الحروب ضدّ رسول الله ﷺ فإنّهم قد لجؤوا إلى الكعبة المقدّسة ودخلوا فيها لعل هذا المكان المقدّس يحفظهم من أن يصيبهم شيء. وكما ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام والتاريخ، ومنها ما ذكره العلاّمة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار، انّ الذين دخلوا في الكعبة المقدّسة كان يعلمون انّهم سيقتلون لأنّهم عارضوا رسول الله ﷺ وآذوه لمدّة عشرين سنة، ولحقوا رسول الله ﷺ بالحروب، وأثاروها ضده في الثمان سنوات التي كان فيها النبيّ ﷺ في المدينة المنوّرة، وقتلوا أصحابه.

---

١. سورة المؤمنون، الآية ٩٦.

جاء رسول الله ﷺ وهو راكب ووقف أمام الكعبة، ونظر إلى الداخلين فيها، وعاتبهم بعتاب كان برفق ولين، وقال: (ألا لبئس جيران النبي كنتم، لقد كذّبتم وطردتم، وأخرجتم وآذيتم، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلوني). فهؤلاء كانوا قد آذوا النبي وطردوه وأخرجوه من مكّة وتبعوه بالحروب ومنها بدر وغيرها، وبعضهم اشترك في مؤامرة قتل النبيّ ﷺ وهو على فراشه حينما كان في مكّة التي على أثرها ترك النبي ﷺ مكّة وهاجر إلى المدينة.

العفو العام

ثم قال رسول الله ﷺ لهم كلمة هي عديمة النظير في طول تاريخ البشر، إلاّ في تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال الإمام الكلمة نفسها في بعض حروبه التي فرضت عليه. فقد قال النبي ﷺ لاولئك الذين كانوا داخل الكعبة: (**اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ**). والمقصود من الطلقاء يعني ليس لي معكم أمر سلبي، أي لا قتل ولاسجن ولا مصادرة لأموال وممتلكات ولا تعذيب ولا ولا. وورد في التاريخ والأحاديث الشريفة انّه لما قال رسول الله ﷺ تلك العبارة خرج من كان في داخل الكعبة وكأنّما انشروا من القبور، يعني كالذي دفن وهو حي في القبر، وبعدها فتحوا عليه القبر وخرج منه، وكثير منهم دخلوا في الإسلام في تلك الساعة. وهذا هو الفتح الإسلامي، بالفضيلة والأخلاق. وهذه هي النظافة مع الأعداء في الحروب، وهذه هي الإنسانية مع الأعداء في الحروب، وهذه هي الفضيلة مع الأعداء في الحروب. فأهل مكّة وبالأخصّ الزعماء والرؤوس من المشركين فيها قد قاتلوا رسول الله ﷺ وصادروا وباعوا دار رسول الله ﷺ في مكّة التي كانت مسكنه من آبائه وأجداده وملكه بعد أن هاجر منها إلى المدينة المنوّرة، حيث باعوا وأخذوا أموالها، ولكن رسول الله ﷺ لم يصادر

حتى درهم واحد ولا شيئاً آخراً. ومع شديد الأسف، يعرض في التاريخ ولا يزال ولهذا اليوم الفتوحات الإسلامية في الحروب التي أوجدها ملوك وحكّام باسم الإسلام والإسلام منهم بريء، حيث كانت فتوحاتهم بالمظالم والقتل والحرق وهدم البيوت على أهلها وهم أحياء ودفنهم.

الإسلام الصحيح

إنّ رسول الله ﷺ هو الممثّل للإسلام الصحيح والإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو بصريح القرآن الكريم نفس رسول الله ﷺ بقوله عزّ من قائل (وأنفسنا). وأمّا بقيّة ما عرض ويعرض مع شديد الأسف في كثير من البلاد الإسلامية هذا اليوم باسم الإسلام فهو ليس من الإسلام. فملاك الإسلام هو رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، كما قال النبيّ ﷺ: كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

إذن، ليتعلّم من رسول الله ﷺ، البشر والحكّام في الدنيا، وخصوصاً الحكّام في البلاد الإسلامية، والقرآن الكريم يقول: (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**)[1]. وفي هذا الزمان واليوم، قد امتلأت الدنيا بالمشاكل في كل مكان، وهي أحوج ما تكون إلى تطبيق ما صنعه رسول الله ﷺ، وتطبيق سنّته في التعامل بالحروب وبعدها، ومنها قوله ﷺ: اذهبوا فأنتم الطّلقاء.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفّق المسلمين وخصوصاً الشباب المؤمن الغيارى في بلاد الإسلام وغيرها لعرض النقاط المهمّة من تاريخ رسول الله ﷺ، وكلّها مهمّة.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

---

١. سورة الأحزاب، الآية ٢١.

الليلة الخامسة عشرة

أسلوبان متناقضان

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يشير إلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام: هذان ابناي إمامان، قاما أو قعدا. أي سواء قاما بأمر الحكومة أو لم يقوما بها وتركوا القيام بها.

بنود مهمّة

بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، اختبر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الأصحاب خلال قرابة ستة أشهر، ولم يفي الأصحاب بالإمام عليه السلام، ولذا اضطرّ إلى الصلح مع معاوية. وكتب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في ورقة الصلح بنود، كان منها:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، معاوية بن أبي سفيان على أن يعمل بكتاب الله وبسنّة رسوله. وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده، وعلى أنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله. ووقّع معاوية على هذه البنود، ولكنه لم يعمل بها وبأيّة واحدة من البنود التي وقّع عليها.

إنّ أسلوب القرآن الكريم وأسلوب رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلوب العترة الطاهرة عليهم السلام، كلّها مثل الآخر، وكلّها للأمن والأمان للناس، وكلّها ولجميع الناس على الحقّ وعلى الفضيلة. بالعكس من معاوية وأمثاله.

رذائل معاوية

أما بالنسبة للقرآن الكريم، فكانت مخالفات معاوية للقرآن بالعشرات والعشرات والعشرات، وكذلك لسنّة رسول الله ﷺ بالعشرات والعشرات. والذي ورد عن تلك المخالفات لمعاوية في التواريخ لو جمعت ستكون مجلّدات وموسوعة.

مثلاً، من سنّة رسول الله ﷺ، أي قوله وعمله وتقريره عليه السلام، أنّه طيلة حكومته التي كانت قرابة عشر سنوات، لم يك عنده قتيل سياسي واحد، أي لم يأمر ﷺ ولم يقتل حتى شخص واحد لأمور سياسية. ومعاوية كان قتلاه السياسيون بعشرات الألوف. ففي قصّة واحدة، وكما هي مذكورة في مختلف التواريخ، بعث معاوية بسر بن أرطأة وأمره بأن لا يدع القتل والمصادرة وحرق المزارع وحرق الناس. فلقد جاء بسر إلى الحجاز وأطرافه مرّة واحدة فقط، وخلال فترة قصيرة قتل أكثر من ثلاثين ألف من الرجال والنساء والأطفال. وذكر التاريخ أنّه كان في يده خنجراً وكان يذبح به الأطفال. وكان يحرق الناس وهم أحياء، ويهدم البيوت على أهلها وهم أحياء.

هل انّ مثل تلك الممارسات كانت من سنّة رسول الله ﷺ؟ فلم يكتب في تاريخ رسول الله ﷺ حتى سجين سياسي واحد، ومعاوية امتلأت سجونه بالألوف والألوف من المظلومين الذين لم يكونوا يستحّقون السجن لأنهم لم يجرموا ولم يجنوا.

كما كان من بنود الصلح التي وقّع عليها معاوية أنّه لا يعهد إلى أحد من بعده، أي لا يعيّن بعده شخص، ولكنه عيّن يزيد.

كذلك من البنود المهمّة وقليلة النظير في التاريخ، إلاّ في تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة عليهم السلام، هو ماذكره الإمام الحسن المجتبى عليه السلام على انّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله. والمقصود من الناس البشر كلّهم، من مسلمين وغير مسلمين، والرجال والنساء، والصغار والكبار. فالأمان هو أصل مهمّ عند القرآن الكريم وعند رسول الله صلى الله عليه وآله، وعند العترة الطاهرة عليهم السلام. ولكن معاوية خالف هذا البند آلاف المرّات وألوف وألوف. فلقد عاش الناس الذين كانوا في الأماكن التي يحكمها معاوية غير آمنين، غير الذين سجنهم وعذّبهم وقتلهم.

أسلوب الإنسانية والرحمة والأخلاق

إنّ أسلوب الإنسانية والفضيلة والرحمة والأخلاق يمثّله القرآن الكريم في آياته الشريفة، ويمثّله رسول الله صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة عليهم السلام في أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم. فهم عليهم السلام والقرآن الكريم يمثّلون الفضيلة في كل مجال، حتى في الحروب التي هي عادة لا مجال للفضيلة فيها عند سائر الناس، بينما الفضيلة هي الأساس عند رسول الله والعترة الطاهرة عليهم السلام. فالحكومة عندهم تُبنى على الفضيلة، والحرب على الفضيلة، بل الحرب عندهم تبتدئ بالفضيلة دفاعاً، لأنّه ليس من الفضيلة أن يقف الإنسان مكتوف الأيدي ولا يدافع عن نفسه، بل يجب عليه الدفاع عن نفسه، والدفاع عن النفس فضيلة. وكذلك تنتهي الحرب عند القرآن والنبي وعترته الطاهرة عليهم السلام بالفضيلة عندما تضع الحرب أوزارها. فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتركون الناس آمنين، حتى الذين أثاروا الحروب، كما هو في تاريخ أهل البيت عليهم السلام.

ثم هناك أسلوب آخر وهو أسلوب معاوية وبني أميّة وبني العباس وأمثالهم، الذين ملئ تاريخهم هي الرذيلة إرعاب الناس وتخويفهم، والقتل والسجن والتعذيب.

ما يجب القيام به

إذن، يجب أن يُفصل بين الأسلوبين، خصوصاً في هذا الزمان، حيث يمكن الفصل بين الفضيلة والرذيلة، وكذلك بين رجال الفضيلة ورجال الرذيلة، وأسلوب الفضيلة وأسلوب الرذيلة. ولذا، على الجميع أنّ لا يقصّروا في هذا المجال، كل بمقداره، وأن يفصلوا بين ما يأمر به القرآن الكريم وما عمله وقاله وقرّره رسول الله صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة. وإذا جمعت المفردات لهذين الأسلوبين، فستكون مجلّدات وموسوعة.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّق الجميع لذلك، خصوصاً في الشهر الفضيل شهر رمضان.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

الليلة السادسة عشرة

المنطق الحقّ

بعد أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام هو الإمام بالحقّ. وقد صرّح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأنّ ابنه الحسن هو الخليفة من بعده، وقبل ذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال عن الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام: (ابناي هذان إمامان، قاما أو قعدا).

المنطق الحقّ

بعد أمير المؤمنين عليه السلام، خطب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بالناس الذين بايعوه وذكر مقام الإمامة. وكان جماعة من الناس لم يبايعوا الإمام، فلم يجبر الإمام الحسن عليه السلام ولم يكره أحداً منهم على بيعته، ولم يأذن لأحد أن يكره أحداً على بيعته، كما كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام. فلم ينقل التاريخ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه أكره أحداً على الإيمان به، سواء في مكّة المكرّمة قبل الهجرة، وبعدها في المدينة المنوّرة، بل هو صلى الله عليه وآله أتى بالقرآن الكريم الذي يقول: (فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ)[1]. فلم يكره صلى الله عليه وآله أحداً على الإيمان برسالته وبه. وكذلك الأمر نفسه بالنسبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث لم يأذن الإمام بأن يؤتى بالذين لم يبايعوه. وكان بعض الأصحاب قد اقترحوا على الإمام عليه السلام بأن يؤتى باولئك الذين لم يبايعوا عليّاً، فلم يأذن

---

١. سورة الكهف، الآية ٢٩.

بذلك الإمام علي عليه السلام. وهكذا لم يجبر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أحداً على بيعته، ولم يأذن بأن يجبر أصحابه أحداً ويكرهوه على البيعة.

هذا هو الأسلوب الإلهي، وهذا هو أسلوب الأنبياء، أي لا إكراه في الدين. فلا يكرهون أحداً على أن يقبل الدين. وفي المقابل، أي معاوية، وكما ورد في شتّى التواريخ، فإنّ المظالم التي صدرت منه بالنسبة لمن لم يبايعه ولم يعتقد به، لا يمكن عدّها، فهي بالألوف والألوف، سواء المظالم التي أوقعها هو عليهم أو أمر بها.

المنطق الظالم

ورد في التواريخ، انّه عندما كان معاوية يرسل الأشخاص ليطلبوا له البيعة من الناس، كان يقول لهم: ادعهم إلى البيعة لي فمن أبي فاقتله، وانهب الأموال ممن لم يكن دخل في طاعتنا. يعني كان معاوية يأمر بقتل من لم يبايعه ومصادرة أموال المقتول. وأكثر من ذلك، وكما ذكرته مختلف التواريخ، كان يأمر بالقتل والسيف والحرق ودفن الناس وهم أحياء، حيث كانوا يهدمون الدور على أهلها من الرجال والنساء والأطفال وهم أحياء، ممن لم يقبل بالبيعة له. وهذا هو منطق معاوية الذي يعتبر نفسه مسلماً ويعتبر انّ ما يطرحه كإسلام، بينما الإسلام هو انّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يجبر أحداً على الإيمان به. وكذلك لم يدع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أحداً إلى البيعة، بل خطب بالناس وذكر مقام الإمامة.

كذلك وبعد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كتب معاوية رسالة إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وطلب من الإمام أن يبايعه، بقوله: أنا أحقّ بالإمامة منك لأنّي أكبر سنّاً منك! فهذا أيّ منطق؟ إنّه ليس سوى منطق الظلم. بينما بني الإسلام

على العدل وعلى التقوى وعلى الصلاح والخير، ولكن بني أميّة وبني العباس وباسم الإسلام، طرحوا المظالم وعملوا بها، وبأنواعها وأقسامها.

من جرائم معاوية

لقد كتب الإمام الحسين عليه السلام، رسالة إلى معاوية، قال له فيها: إنّكم تسلمون العيون. أي كانوا يدخلون حديدة في عيني من لم يبايعهم أو لم يوافقهم فقط لا أنّه حمل السلاح ضدّهم، وكانوا يخرجون عينيه، وربما كان هذا الفعل الذي هو تعذيب قاسي، يؤدّي بالضحية إلى الموت. فلم ينكر معاوية ما ذكره له الإمام الحسين عليه السلام، لأنّ هذا الفعل كان من عادتهم ومن ممارساتهم المعتادة. وهذا الفعل ومنطق معاوية في أنّه يجب مبايعته لأنّه أكبر سنّاً، هو جزء من المنطق الذي بنى عليه بنو أميّة وبنو العباس وأمثالهم، وكذلك هي واحدة ضمن الألوف والألوف من ممارساتهم ومنطقهم، إذا تمّ عرضه على العالم اليوم سينكشف كيف كان يفكّر معاوية، وكيف كان أسلوبه. وهكذا كان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مواجها لهكذا أشخاص وهكذا أجواء، التي كانت سائدة في بني أميّة وأمثالهم.

ليعرفهما العالم

إذن، من واجب الجميع أن يعرفوا، حتى تتمّ الحجّة على الناس ولا يبقى شخص يوم القيامة يعتذر إلى الله عزّ وجلّ بقوله إلهي لم أك أعرف ولم أعلم. أي: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ﴾[1]. بل ﴿فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[1]. فيجب إيصال البلاغ المبين إلى الناس.

---

١. سورة النساء، الآية ١٦٥.

هذان الأمران: أي فضائل أهل البيت عليهم السلام، وكل حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم هي فضيلة. والآخر: الرذائل في أقوال أمثال معاوية وبني أمية وفي أفعالهم وتقريراتهم، التي هي كلّها رذائل. هذان الأمران يعرضان على العالم ويصلان إليه، من مسلمين وغير مسلمين، لأنّ الناس كلّهم مورد التكليف، كما أمر الله تبارك وتعالى نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله بأن يخاطبهم بـ(أيّها الناس)، وعندها: (فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)[2]. فالذي يكفر، يكفر عن بيّنة، وهكذا بالنسبة لمن يؤمن.

شهر رمضان المبارك هي فرصة جيّدة لكل الفضائل، ومن رؤوس الفضائل، توعية الناس وتثقيفهم، وإيصال ثقافة أهل البيت عليهم السلام لهم، وكذلك إيصال ممارسات من تسمّوا باسم الإسلام وهم أبعد ما يكونوا عن الإسلام، من بني أميّة وبني العباس وأمثالهم.

أسأل الله عزّ وجلّ التوفيق للجميع في ذلك.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

---

١. سورة الأنعام، الآية ١٤٩.

٢. سورة الكهف، الآية ٢٩.

الليلة السابعة عشرة

المصيبة العظمى الشاملة

خطب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، خطبة قال فيها جملتين عن مصاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، هما بحاجة إلى شرح وبسط وذكر أمثلة ومصاديق. وهذا لوحده يكفي أن يكون موسوعة ضخمة مفيدة لمستقبل التاريخ. فقد قال عليه السلام في ضمن الخطبة المذكورة: (ولقد أُصيب به الغرب والشرق).

مصيبة عظمى شاملة

إنّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام هو إمام معصوم، لا يسهو ولا يشتبه ولا يُخطئ. والمراد من الغرب والشرق في ذلك الزمان، هي البلاد الإسلامية التي كانت ممتدّة حتى عمق أوروبا وإلى عمق أفريقيا والشرق الأوسط كلّه. وفي ذلك اليوم، غير البلاد الإسلامية، كانت دول الرومان التي كانت أقلّ من البلاد الإسلامية، حيث كانت الأخيرة أوسع وأكبر. ويعني انّه بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقعت البلاد الإسلامية، كلّها، غربها وشرقها، بالبلاء والمهالك والمظالم والمشاكل. فالبلاد الإسلامية في حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كانت تعيش الإيجابيات، ولكن بعد الإمام عليّ عليه السلام صار وحدث من السلبيات ما جعل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يقول (أُصيب به الغرب والشرق). وهذا التعبير وهذا النوع من الكلام بمعنى أنّه لم يبقى في طول البلاد الإسلامية وعرضها، مكان وشخص لم يصبهما مشكلة بسبب استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام.

بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حكم معاوية لمدّة عشرين سنة، أي من سنة أربعين إلى سنة ستين للهجرة، وخلال هذه السنين ما الذي صار بحيث جعل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أن يقول تلك العبارة؟

ذلك يعني، انّ السلبيات التي صارت في البلاد الإسلامية لم تك محصورة في جهة سياسية، أو اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية أو عائلية فقط، وكما يقال (حذف المتعلّق يفيد المعلوم) وأهل البيت الأئمة المعصومون عليهم السلام والإمام الحسن المجتبى عليه السلام منهم هم أسس البلاغة وجذور الفصاحة والبلاغة. فعندما يقول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام (اُصيب به الغرب والشرق) فيعني اصيب الغرب والشرق في كل شيء، أي إنّ كل الإيجابيات التي كانت في زمن حكومة أمير المؤمنين عليه السلام انقلبت إلى سلبيات.

في حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن حتى قتيل سياسي واحد، ولكن في حكومة معاوية كان القتلى بالمئات والآلاف، بل بالألوف والألوف، من قتلى سياسيين. وهذا الأمر بحاجة إلى أن يُجمع من التواريخ المختلفة. فالإمام المعصوم عليه السلام لا يقول (اُصيب به الغرب والشرق) إلاّ عن مصيبة عظمى تكون السبب لمختلف وشتّى المصائب.

من مفاخر عليّ

أما الجملة الثانية التي قالها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الخطبة، هو قوله: (ولم يترك صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمئة درهم من عطائه ادّخرها لخادم لأهله). وحقّاً إنّها جملة عظيمة وعظيمة، وعديمة النظير، في تاريخ البشر، إلاّ تاريخ مثل رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليّ نفس رسول الله عليهما السلام.

لقد كانت البلاد الإسلامية كلّها تحت حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت كل الأموال تجتمع عنده أو تصرف بأمره من الخيرات الكثيرة التي كانت في البلاد الإسلامية، وملأت كل شبر، ومفرداتها موجودة في التاريخ. ويستشهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويذهب عن الدنيا وكل ما يملكه هو سبعمئة درهم، أي تقريباً ما يعادل كيلو واحد من الفضة ونصف الكيلو. وكانت هذه السبعمئة درهم من عطاء الإمام وليس من أموال المسلمين. فما هو العطاء؟

العطاء في الإسلام

في الجواب، هكذا نوضّح ونقول: كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في أيّام حكومته هو بنفسه يقسّم الأموال، أو يأمر العمّال والولاة بتقسيمها. وكانت الأموال بعضها من الزكوات والخراج والمقاسمة والفيء، وتحصل من أطراف البلاد الإسلامية، ولم تكن في حكومة الإمام وكذلك في حكومة النبي عليهما السلام الضرائب أبداً. فكانت هذه الأموال تصرف أولاً على الحاجات، أي لمن يريد الزواج والسكن وللمريض ولمن له حاجات غيرها، وتصرف للمسلمين وغير المسلمين، أي حتى لليهود والنصارى والمشركين والملحدين الذين كانوا يعيشون في بلاد الإسلام. وبعدها على حاجات البلاد الإسلامية من شوارع ومصالح إسلامية ومشاكل مختلفة، وللسلم والحرب، أي الحرب الدفاعية، لأنّه لا حرب ابتدائية في الإسلام، وهكذا كانت حروب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، أي دفاعية كلّها، بلا استثناء. وإن كان يفضل من تلك الأموال، كان الإمام عليه السلام يوزّعها بالسوية، ولهذا ذكرت

الزيارات لأمير المؤمنين عليه السلام (القاسم بالسويّة) وكذلك في تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان يفضل من الأموال في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام ويفضل ويفضل، لأنّه عليه السلام لم يأخذ حتى درهم لنفسه استثناء، بخلاف بني أمية وبني العباس الذين كانوا يأخذون لأنفسهم بالملايين والملايين والملايين.

القاسم بالسويّة

أما بالنسبة للحاجات فكانت لا تقسّم بالسويّة بل حسب مقدار الحاجة. وكان لأمير المؤمنين عليه السلام خادم اسمه قنبر، وكان الإمام يعطي لقنبر مثل ما يأخذه لنفسه، وفي بعض موارد التاريخ انّ الإمام عليه السلام قسّم على المسلمين كلّهم ثلاثة دنانير، وأخذ هو مثلها وكان هو حينها الحاكم الأكبر والأعلى للحكومة الإسلامية، وأعطى مثلها أي ثلاثة دنانير لخادمه قنبر! فجمع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من عطائه سبعمئة درهم، لكي يعطيها لخادم لعائلته التي كانت تحتاج إلى خادم، ولم يك لعائلته ذلك، أي خادم، إلى اليوم الذي استشهد فيه الإمام عليه السلام! فأين تجد مثل هذا في التاريخ؟

وظيفة إلهية

إذن، ألا يجب علينا أن ننشر هذه المفاخر العظيمة الفريدة وهي مفاخر الإسلام ومفاخر التاريخ ونحن ضمن هذا التاريخ. فعلى الجميع، كل بحسب ما يمكنه، أن يكثّفوا الجهود والطاقات لجمع هذه المطالب من مختلف الأحاديث الشريفة ومن مختلف التواريخ وعرضها على العالم، حتى لا يتكرّر ما أصاب غرب البلاد الإسلامية وشرقها بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام،

ولا يزال هكذا إلى هذا اليوم مع شديد الأسف في الدنيا، ومع أشدّ الأسف في بلاد الإسلام، أو حتى يقلّ تكراره.

أسأل الله تبارك وتعالى التوفيق للجميع. وهذا شهر رمضان، هو موسم هذه الأمور التي هي وظيفة إلهية على الجميع.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

الليلة الثامنة عشرة

وجوب تبليغ التولّي والتبّري

عندما يقول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (ولقد أُصيب به الغرب والشرق) فماذا كان يرى الإمام الحسن عليه السلام ليقول هذه الجملة التي قلّ نظيرها في تاريخ البشرية؟

الشرّ العظيم

إنّ من جملة ما كان يراه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، هي قصص معاوية وتاريخه وسيّئاته وسلبياته مع الإسلام ومع الأمّة الإسلامية ومع البشر ومع المؤمنين والمسلمين، ومع المؤمنات والمسلمات، ومع الضعفاء والمساكين، وقد أثبت ذلك التاريخ.

بعد أمير المؤمنين عليه السلام، حكم معاوية عشرون سنة، وخلالها وبعد أن أرسل أحد عمّاله ورسوله إلى المدينة المنوّرة ومكّة المكرّمة وأطرافهما، وبأمر من معاوية، قتل رسوله وأحرق ودفن أحياء، من الأطفال والرجال والنساء، وكانوا أكثر من ثلاثين ألف، كما هو في التواريخ. فأيّ رعب يوجد هذا الفعل في العالم الإسلامي وفي كل البلاد الإسلامية؟ فعندما يقتلون بأمر الحاكم الأعلى ذلك الوقت وهو معاوية، ذلك العدد الكبير من المسلمين والمؤمنين والمسلمات والمؤمنات، لا شكّ يملك الرعب الجميع في كل مكان.

إنّ تاريخ معاوية بن أبي سفيان مشحوناً بالسيّئات والمظالم. وواحدة من تلك السيّئات، أنّه سافر إلى مكّة المكرّمة وأراد أن ينصّب يزيداً خليفة من بعده، وأراد أن يعلن ذلك في المسجد الحرام على المنبر. وجمع جماعة من كبار الشخصيات في ذلك الزمان بمكّة في دار وقال لهم كلمتين بصراحة، وكانت الأولى هي انّه أخبرهم بأنّه يريد تنصيب يزيد من بعده. وكانت كلمته الثانية، هي: أيّ واحد ردّ عليَّ بكلمة تصديق أو تكذيب، سبقها السيف إلى رأسه. ويعني أي واحد منكم وفي وسط كلامي، فتح فاه ليتكّلم بتصديق لي أو تكذيب، يسبقه رأسه قبل أن يتكلّم! وبعدها نظر إلى صاحب حرسه (رئيس شرطته) وقال له: أقم على رأس كل واحد منهم رجلين بسيفين، فأيّ واحد منهم ردّ عليَّ بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما. وعن مثل هذه الممارسات، قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: (اُصيب به الغرب والشرق).

لقد كان معاوية يدّعي أنّه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله! فهل يوجد في تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله مثل هذه الممارسات؟ الجواب: كلا وألف كلا. وكذلك كلا، وألف كلا، لا يوجد مثلها في تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام.

إذن، اُصيبت الأمّة الإسلامية، بغربها وشرقها، باستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، بالمئات والألوف والألوف من المظالم التي ارتكبها معاوية بن أبي سفيان، ثم من بعده يزيد، وبعد مروان وبني مروان، ومن بعدهم بني العباس وهكذا.

هكذا هو الحاكم الإسلامي الحق

كان حجر بن عدي رضي الله عنه من الزهّاد والعبّاد والأتقياء، ولا يزال مزاره ومزار أصحابه معروفاً ولهم قبور تُزار من قبل المؤمنين والصالحين. وقد قتل معاوية حجر وأصحابه في أطراف الشام. وعن أمير المؤمنين عليه السلام، قال حجر ذات مرّة

لمعاوية: ملك أمير المؤمنين أمرنا فكان كبعضنا. أيّ انّ أمير المؤمنين عليه السلام وهو الحاكم الأعلى لكل البلاد الإسلامية، كان كسائر الأفراد في البلاد الإسلامية. ولذا، فليتعلّم من أمير المؤمنين عليه السلام هذه الفضيلة، الحكّام، وليكونوا كسائر أفراد الأمّة، حتى حكّام بلاد الإسلام وحكّام بلاد غير الإسلام.

حلم الحاكم الأعلى

جاء في التاريخ، أنّه ذات مرّة كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يؤمّ المصلّين في مسجد الكوفة، وفي أثناء الصلاة، وبعد أن بدأ الإمام بقراءة سورة من القرآن الكريم بعد سورة الحمد، وكان يقرأ جهراً في صلاة جهرية، صاح شخص كان في المسجد، بصوت رفيع: لئن أشركت ليحطبنّ عملك! فسكت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام احتراماً لقراءة القرآن. ولما سكت ذلك الشخص، بدأ الإمام عليه السلام يواصل القراءة، فأعاد ذلك الشخص كلامه نفسه، وكذلك سكت الإمام، وبعد أن سكت ذلك الشخص واصل الإمام بالقراءة، وبعدها أعاد ذلك الشخص كلامه لمرّات ومرّات والإمام عليه السلام يسكت احتراماً للقرآن ثم يواصل بعد سكوت ذلك الشخص. وبعد انتهاء الصلاة، لم يقتل أمير المؤمنين عليه السلام ذلك الشخص، ولم يسجنه ولم يعذّبه ولم يصادر شيئاً من أمواله! وهكذا عاش المؤمنون تحت حكومة أمير المؤمنين عليه السلام وتحت زعامته. وبعدها ابتلوا بمثل معاوية مع عنفه الشديد.

لتتعلّم الحكومات من الإمام عليّ

إذن، ليتعلّم من أمير المؤمنين عليه السلام الكل، أي رئيس العائلة بالنسبة إلى عائلته، ورئيس العشيرة بالنسبة إلى عشيرته، ورئيس القرية بالنسبة إلى قريتة، ورئيس المدينة بالنسبة إلى مدينته، ورئيس حكومة بالنسبة

إلى المناطق التي يحكمها، ولا يكونوا كمعاوية بن أبي سفيان الذي كان يصنع مثل تلك الجرائم التي مرّ ذكرها آنفاً، ويسمّي نفسه باسم الإسلام!

كما إنّ تبليغ تلك الفضائل لأمير المؤمنين عليه السلام، وتبيين تلك المثالب والرذائل لمعاوية وأمثاله، من الواجبات على الجميع، وخصوصاً في زماننا الحالي الذي تتوفّر فيه الوسائل لإيصال فضائل أهل البيت عليهم السلام، وإيصال رذائل أعدائهم، وإيصال التولّي والتبرّي وكلاهما من شؤون أصول الدين، كل حسب إمكانه، وبمقدار ما يتمكّن، حتى بوصول ذلك تتمّ الحجّة على البشر.

أسأل الله سبحانه وتعالى، في هذا الشهر الفضيل، شهر رمضان المبارك، أن يوفّق الجميع، وخصوصاً الشباب المؤمن الغيارى، لأداء هذا الواجب العظيم وهذا البلاغ المبين بالنسبة إلى التولّي والتبرّي.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

الليلة الرابعة والعشرون

من جنايات الخلفاء

ما حلّ بالأمّة

في أوّل خطبة خطبها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال هذه الجملة: (ولقد أُصيب به الغرب والشرق). ويعني انّه بعد أمير المؤمنين عليه السلام، وقع غرب البلاد الإسلامية كلّه وشرقها كلّه، في فتن عظيمة، وفي قتل وتعذيب وإبادة وحرق للبشر وحرق للمزارع. وكذلك يعني انّه بعد استشهاد رسول الله واستشهاد الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام، وبعد حكومتيهما العادلتين، انصبّت على المسلمين في الأمّة الإسلامية شتّى أنواع المظالم، بحيث لو أُحصي القتلى السياسيين، وأُحصيت التعذيبات والمظالم والمصادرات للأموال، والحرق للناس وهم أحياء، وحرق المزارع ودفن الأحياء، فلا يبعد أن تبلغ الملايين من حيث المجموع، في طول الحكومات الإسلامية، ومع شديد الأسف، وباسم الخلافة لرسول الله صلى الله عليه وآله، من بني أميّة وبني مروان وبني العباس وأمثالهم.

من جنايات معاوية

لم يسجّل في تاريخ حكومة أمير المؤمنين عليه السلام حرق شجرة واحدة، سواء بأمره أو بنفسه. وكان معاوية يأمر من يرسله، ضمن ما يأمرهم، انّه إذا سيطرتم، فأحرقوا المزارع، وكانوا يحرقونها. وعندما تُحرق المزارع،

تحدث مجاعة ويحدث القحط، لأنّه في الزمان السابق لم تكن الوسائل سريعة حتى يأتون بالمأكولات من الأطراف. وعندما تُحرق المزارع تُحرق معها المواشي والدواجن أيضاً، حيث في الزمان السابق كانت المواشي من الأبقار والإبل والغنم والدواجن مثل الدجاج، تعيش في المزارع، وغيرها. وكان القحط أمّ المصائب في الزمان السابق.

أكل بعضهم بعضاً!

وصل الأمر في القحط بالبلاد الإسلامية، مع شديد الأسف، انّ الناس من القحط كانوا يأكلون كل شيء، حتى انّهم يجدون بعض الضعفاء فيقتلونهم ويأكلون لحومهم. وورد في مختلف التواريخ انّ امرأة ضعيفة قتلوها ووزّعوا لحمها، وجعل الناس يأكلون لحمها من شدّة الجوع، فانتهى لحمها، وكان لهذه المرأة المقتولة المأكول لحمها، أخت فكانت تصيح أنا أموت من الجوع، فلماذا لم تعطوني قطعة لحمة من لحم أختي حتى أسدّ بها جوعي! وهذا لم يحدث في الغابات، بل حدث في البلاد الإسلامية، مع شديد الأسف، وتحت حكومة تسمّى بالخلافة الإسلامية، كذباً وزوراً. وهذه الجرائم كانت تحصل باسم الإسلام، وباسم الرئيس الأعلى للحكومة الإسلامية، أي من معاوية ويزيد ومروان وبني مروان وبني العباس وأمثالهم.

وجوب إسلامي إنساني وجداني

من الواجب الإسلامي، والواجب الإنساني، والواجب الوجداني، أن يتصدّى كل واحد، بمقدار ما يمكنه، لفصل الإسلام الصحيح عن الإسلام المزيّف، لفصل

الإسلام الواقعي الذي هو إسلام مثّله رسول الله ﷺ بأقواله وبأعماله وبتقريراته، ومثّله بعده أمير المؤمنين عليه السلام بأقواله وأعماله وتقريراته، يفصلوه عن الإسلام الذي يحمل مجرّد اسم الإسلام، ولكنه هو أبعد ما يكون عن الإسلام.

من أفعال شرار الأمّة

إنّ من الألوف والألوف من جملة ما ورد في التواريخ عن الذين كانوا يسمّون أنفسهم بخلفاء رسول الله ﷺ كذباً وزوراً، ويذكرون في تواريخ عديدة وإلى اليوم باسم الخليفة، أنّ أحدهم كان يأمر بأن يؤتى إليه بحيات وعقارب في كيس، وعندما يجتمع عنده مجموعة من الناس، كان يقوم بنفسه وبيده هذا الذي يسمّي نفسه خليفة لرسول الله ﷺ كذباً وزوراً، بإفراغ الكيس المملؤ بالحيّات والعقارب على رؤوس الناس، فيستوحشون ويصيح بعضهم، ويفرّ بعضهم، وينبطح بعضهم، وهذا الخليفة يضحك عليهم!

هل هكذا كان إسلام رسول الله ﷺ؟ وهل هكذا كان إسلام أمير المؤمنين عليه السلام؟

كما ذكروا في تاريخ واحد آخر من الذين يسمّون بالخلفاء، انّه كان من أنواع القتل الذي يقتل به السياسيين من أعدائه لا المجرمين، هو قتلهم بدقّ المسامير في عيونهم وهم أحياء!

كذلك ورد في التواريخ، ومنها التواريخ الموجودة اليوم بين أيدي الناس، عن واحد آخر من الذين يسمّون بالخلفاء، انّ شخصاً من المسلمين قال له: اتقّ الله؟ يعني خف الله؟ فقال ذلك الذي يسمّي نفسه خليفة رسول الله ﷺ: أنت تقول لي اتقّ الله؟ فأمر بأن يفرشوا الشخص الأرض ويطؤوه بأقدامهم. فجعل عمّاله ذلك الشخص تحت أقدامهم ووطؤوه حتى مات، وذلك لمجرّد

انّه قال للخليفة المزوّر ولمرّة واحدة فقط: اتقّ الله! وكان هذا كلّه يُصنع باسم الإسلام، وباسم خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله!

رحمة الإسلام

لقد كانت حروب رسول الله صلى الله عليه وآله دفاعية كلّها، وكذلك حروب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كلّها دفاعية، ولم تحدث في تاريخ رسول الله وتاريخ أمير المؤمنين عليهما السلام حرب ابتدائية. فكل الحروب كان تُفرض على رسول الله وعلى أمير المؤمنين عليهما السلام، وكانا عليهما السلام يقفا في موقف الدفاع. وكانت توصيات أمير المؤمنين عليه السلام كتوصيات رسول الله صلى الله عليه وآله. فكان الإمام يوصي الذين يبعثهم للدفاع في الحروب، ويأمرهم ضمن ما يأمرهم بأن لا يقطعوا حتى شجرة واحدة، ولا يحرقوا حتى شجرة واحدة.

أما معاوية بن أبي سفيان فكان يأمر من يرسلهم بحرق المزارع بما فيها من المواشي والدواجن. وحتى بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مباشرة، كان معاوية يأمر من يرسله إلى العراق، خاصّة، وبعض مناطق العراق، بحرق المزارع، لأنّ العراق كان بمثابة مزرعة كبيرة، حيث كان معظم أراضي العراق مزروعة، ولهذا كان العراق يسمّى بأرض السواد لكثرة المزارع فيه. فكان معاوية يأمر من يبعثهم بقتل الناس وحرقهم ودفنهم وهم أحياء، وبحرق المزارع أيضاً.

لنصرة النبيّ والإمام

لذا، يجب إنسانياً وإسلامياً ووجداناً، على كل من يتمكّن، أن يهتمّ بمقدار ما يمكنه، لفصل الإسلام الصحيح وهو الإسلام الذي مثّله رسول الله ومثّله

أمير المؤمنين عليه السلام، عن الإسلام المزوّر الذي ليس له إلاّ اسم الإسلام، وإنّما هو أبعد ما يكون عن الإسلام، وبجمع النماذج الكثيرة التي هي بالمئات والألوف، من مختلف التواريخ، عن ذلك، لكي يعرف البشر اليوم، وبشر المستقبل، من مسلمين وغير مسلمين، فضل رسول الله وفضل أمير المؤمنين عليه السلام، ولكي يكون مستقبل التاريخ أحسن وأفضل للبشرية في البلاد الإسلامية وفي غير البلاد الإسلامية، وحتى لا يكون أحد مقصّراً في نصرة رسول الله ونصرة أمير المؤمنين عليه السلام، ولا يكون ـ لا سمح الله ـ خاذلاً لرسول الله وخاذلاً لأمير المؤمنين عليه السلام، من هذه الجهة.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفّق الجميع لذلك، وخصوصاً فيما تبقّى من شهر رمضان المبارك.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

الليلة الخامسة والعشرون

أصحاب الغدر

إنّ تاريخ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بريء من الابتداء بالحرب كرسول الله صلى الله عليه وآله الذي كانت كلّ حروبه دفاعية. فكيف وقعت حرب الجمل؟

أصحاب الغدر

لقد بايع أمير المؤمنين عليه السلام الناس في المدينة المنوّرة، وكان في طليعتهم طلحة والزبير، لكنهما بعد ذلك طلبا من الإمام ما لا يجوز له شرعاً أن يصنعه، فانحرفا عن أمير المؤمنين عليه السلام ولم يبديا ذلك، بل جاءا بعدها إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقالا نستأذن منك ونريد العمرة. فصارحهما الإمام بقوله عليه السلام: أنتما لا تريدان العمرة بل تريدان الغدرة. وكان الإمام عليّ عليه السلام يعلم بما يريدان وصارحهما به، فلماذا لم يمنعهما؟ والجواب هو لأنّ عليّاً كرسول الله صلى الله عليه وآله، يريدان أن يكون الناس أحراراً، ولا يجبرا أحداً على شيء. والإمام عليه السلام لم يجبر حتى أحداً على بيعته عندما بايعه الناس وكانوا بالألوف والألوف، وبعضهم لم يبايع، فأراد بعض أصحاب الإمام أن يذهبوا إلى الذين لم يبايعوا ويعرضوا عليهم بأن يأتوا طوعاً منهم، أي لا بالإجبار والإكراه، ليبايعوا الإمام، فأمرهم الإمام بترك هذا العمل.

بعدها جاء طلحة والزبير إلى مكّة المكرّمة، وجعلا يكذبان على أمير المؤمنين عليه السلام، وجمعوا مجموعة من الناس، وتوجّهوا إلى البصرة التي كان فيها عامل

لأمير المؤمنين عليه السلام فعذّبوه ونتفوا شعر حاجبيه ولحيته ورأسه، وقتلوا مجموعة من شيعة الإمام، في الطريق وفي البصرة، حتى قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي.

وسام الشيعة

كلمة الشيعة هي وسام من رسول الله لأتباع أمير المؤمنين عليهما السلام، حيث قال النبيّ صلى الله عليه وآله كراراً ومراراً: هذا وشيعته، وعليّ وشيعته. وقد استفاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من هذا الوسام (شيعتي) الذي منحه رسول الله صلى الله عليه وآله لأتباع عليّ عليه السلام.

الحرب الغادرة

توجّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة المنوّرة إلى البصرة مع مجموعة من أصحابه، وتوقّف في ذي قار مع أصحابه. وخرج اولئك من البصرة وجمعوا الجيوش، والتقى الجيشان في ذي قار التي مركزها مدينة الناصرية بالعراق. ولكن مع كل ما فعله طلحة والزبير وجماعتهما بأصحاب الإمام وشيعته وعامله في البصرة من تعذيب وقتل، لم يتعرّض الإمام لقتالهم، بل قال لابن عباس خذ القرآن واذهب إليهم وادعهم إلى القرآن. فجاء ابن عباس وقال لهم إنّ عليّاً يقول هذا القرآن بيننا وبينكم. فقالوا له ارجع وإلاّ قتلناك. فرجع ابن عباس وأخبر الإمام بقولهم. ومع ذلك لم يأذن الإمام بالقتال، وأراد أن يعطيهم فرصة أخرى أيضاً. وهذا هو الإسلام وتاريخ رسول الله وتاريخ أمير المؤمنين عليهما السلام هو الإسلام وهو الإسلام. فنادى الإمام بين أصحابه من يذهب إليهم ويدعوهم إلى العمل بالقرآن، فقام شاب وقال أنا يا أمير المؤمنين، فلم يأذن له الإمام، ونادى مرة ثانية وقام الشاب المذكور مرة ثانية ولم يأذن له الإمام، وبعدها كرّر الإمام نداءه ثالثة فقام شخص وقال أنا

أذهب إليهم، فأخبره الإمام أنّهم يقتلونك، فقال إن كان في رضا الله فلا بأس. فأخذ الشخص القرآن وجاء إلى طلحة والزبير ومن معهما وقال إنّ عليّاً لا يريد أن تقع الحرب ولا يريد القتال، فلماذا يُقتل الناس، وتُرمل الزوجات والأولاد، وتفجع الأمّهات والأخوات، وهذا القرآن بيننا وبينكم، فتعالوا نعمل به. لكنهم قتلوه. فكان جواب النصيحة لهم القتل منهم أي من أصحاب الجمل. فجاءت أمّ الشخص المقتول ووقفت على جنازته وبكت، وجاءت إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ومع ذلك لم يأّذن الإمام بالقتال حتى انّ أصحاب الجمل قتلوا شخصاً آخراً، وجعلا الرمات منهم وكانوا بالمئات، يرمون أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالنبال، فحينها أذن الإمام بالدفاع فقط وفقط.

الإسلام لا يريد القتل

هذا التاريخ هو تاريخ الإسلام الصحيح، وهكذا هي الحرب في الإسلام. فالإسلام لا يريد قتل الناس، حتى قتل إنسان واحد. والإسلام لا يريد حتى قتل فرد واحد، ولكن عندما يهجم جيشاً ويريد القتل، فالإسلام يأمر بالدفاع ويأذن بالدفاع، ولا يريد أن يبقى المتعرّض للهجوم مكتوف الأيدي. ولما أتت سهام أصحاب الجمل تتراً على أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، إذن الإمام بالقتال، واستمر القتال حتى أن وضعت الحرب أوزارها، فقتل جمع من أصحاب الجمل، وفرّ بعضهم، ولم يأذن الإمام بمواصلة القتال، بل قال لشخص أن يعلن فيهم بأن لا يتبعوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح، أي لا يقتلوا الجرحى من أصحاب الجمل. فكان الإمام عليه السلام يريد أن يقلّ عدد القتلى، وإن كان المقتول ظالماً أو مظلوماً، أو سواء كان من الذين بدؤوا الحرب أو لا.

إنّ الحرب أعنف شيئاً في تاريخ البشرية. والحرب مقابلة للفضيلة والإنسانية، ولكن الإسلام الذي مثّله رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام خير تمثيل، يتخذون معقلاً للفضيلة والإنسانية والنبل الرفيعة. وبدأت حرب الجمل من أصحاب الجمل، وبدأ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بمجرد الدفاع فقط، وذلك بعد ثلاث مراحل من التعدّي والقتل والظلم من أصحاب الجمل. فالإمام أعطاهم الفرصة ثلاث مرّات.

لتتمّ البيّنة على العالم

ينبغي أن يُنشر هذا التاريخ في عالم اليوم، وأن يُعرّف الإسلام ويعلمه الجميع، خصوصاً شباب المسلمين، أن يعرفوا ما هو الإسلام، وكذلك يعرفوا انّ الإسلام ليس مع الحرب، بل الإسلام مع السلم والصلح والأمان، ومع عدم الإكراه ومع عدم الإجبار، في أيّ مجال من المجالات، عندها (فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)[1]، وحتى تتمّ الحجّة وتتمّ البيّنة.

أسأل الله تعالى أن يوفّق الجميع، خصوصاً الشباب الغيارى من المؤمنين والمؤمنات، وخصوصاً في الأيّام الأخيرة من شهر رمضان المبارك، بعرضهم للإسلام الصحيح، وأن يبدؤوا حملة ثقافية فكرية واسعة على شتّى الأصعدة لنشر ثقافة الإسلام الصحيح، وهي ثقافة رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، في جميع الجوانب، ومنها وأهمّها في الحروب.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

---

١. سورة الكهف، الآية ٢٩.

الليلة السادسة والعشرون

منطق الإسلام في الحرب

من روائع التعامل مع المنهزم بالحرب

بعد نهاية حرب الجمل، وانتصار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وانكسار أصحاب الجمل، قتل جماعة من الطرفين وجرح آخرون وفرّ بقيّة الباقين من أصحاب الجمل، أمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعدّة أمور، منها، أن ينادوا:

أولاً: لا تجهّزوا على جريح.

ثانياً: لا تتبعوا مدبراً.

ثالثاً: من وجد ماله فليأخذه.

هذه الجمل الثلاث من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لا نظير لها في تاريخ الحروب، لا في ماضي الدنيا ولا في حاضرها، أي اليوم. فعادة في الحروب عندما ينتصر أحد الطرفين في الحرب، لا يحترم الطرف الآخر المنكسر، خصوصاً إذا كان المنكسر هو الذي أوجد الحرب. وكان موقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل وغيرها من الحروب، موقف الدفاع فقط، وقد فرضت عليه حرب الجمل، وكما ذكرنا، بعدما هدّدوا الإمام وقتلوا من أصحابه، عدّة مرّات، وكان الذي بدأ بالحرب هم أصحاب الجمل، فأذن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حينها بالدفاع فقط. ولما انتهت حرب الجمل، انتهى موضوع الدفاع، ولذا أمر أمير المؤمنين عليه السلام أن ينادى بتلك الأمور الثلاث.

لا يُقتل الجريح

كان المراد من قول الإمام عليه السلام: (لا تجهّزوا على جريح) أي لا تقتلوا من جرح واُصيب بالمعركة من جيش الجمل ممن سبّ الإمام وجاء لحربه وكان يأمل إن أمكنه أن يقتل الإمام ويقتل أصحابه، وربما يكون الجريح قد قتل مجموعة من أصحاب الإمام ولكنه صار جريحاً. وعادة في الحروب يقتلون الجرحى من الطرف المقابل، لكن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أمر بأن لا يقتلوا جريحاً كما كان يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع حروبه الدفاعية، وأمير المؤمنين هو نفس رسول الله عليهما السلام.

لا يُعقّب المنهزم

ثم المقصود من كلام الإمام عليه السلام: (لا تتبعوا مدبراً) أي لا تتبعوا الذين لم يقتلوا من أصحاب الجمل ولم يصابوا وجعلوا ينهزمون ويفرّون. وعادة في الحروب، يعقب الطرف المنتصر الأفراد الذين ينهزمون ويفرّون من الطرف المنكسر، وإما يأخذهم أسراء أو يقتلونهم. لكن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أمر بأن لا يتبعوا ولا يعقّبوا كل من فرّ وانهزم. وهذه فضيلة أخرى لا نظير لها إلاّ في تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله.

إرجاع أموال خاسر الحرب

أما معنى قول الإمام عليه السلام: (من وجد ماله فليأخذه) هو مال أصحاب الجمل الذين فرضوا الحرب على الإمام، وقتلوا مجموعة من أصحاب الإمام. فأمر الإمام انّه إذا فرّوا وانهزموا ووجد بعضهم مالاً له باقياً في المعركة أن يأخذه. وهناك عدّة مفردات فريدة النظير في تاريخ الحروب التي وقعت في حرب

الجمل، ومنها انّ واحداً من أصحاب الجمل جاء ووجد قدراً له بيد بعض أصحاب الإمام، فقال هذا لي، وأخذه، ولم يمانع أصحاب الإمام من ذلك، مع انّ أصحاب الإمام كان لهم أقرباء وأرحام وأصدقاء قد قتلهم أصحاب الجمل، وبعض من أصحاب الإمام قد اُصيب وجرح، ومع ذلك لم يمتنعوا، لأن الإمام أعلن بإرجاع المال إلى صاحبه. ومفردة أخرى انّ شخصاً جاء وادّعى بفرس له قد استعاره شخص منه، ولعل ذلك المستعير قد قتل أو فرّ، وبقي الفرس، فقال الإمام إذا أثبت انّ الفرس له فليأخذه. ومفردة أخرى: يقول عمّار بن ياسر الذي كان مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل: شهدنا مع عليّ الجمل، فلما ظفرنا، فجعلنا نمرّ بالذهب والفضّة، أي الدنانير والفضّة، فلا نتعرّض لها. فهل يوجد لهذا نظير في تاريخ الحروب بالعالم؟

نبل لا نظير له

هذه الفضائل من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا الخلق الرفيع، وهذا النبل الذي لا نظير له في التاريخ، يجب أن يُنشر في العالم، ويجب أن يحمل المؤمنون، وخصوصاً الشباب الغيارى، هذه الفضائل إلى الآخرين، سواء في البلاد الإسلامية أو في البلاد غير الإسلامية، حتى يعرف البشر الذين ليسوا بمسلمين، هذه الفضائل أيضاً، ولعلّ بعضاً منهم يتعلّمها.

إنّ الحرب ليست لإبادة الناس، بل هي في منطق القرآن الكريم وفي منطق الإسلام، وفي منطق رسول الله والعترة الطاهرة عليهم السلام، هي دفاع عن النفس وعن العرض والمال وعن الأرض والوطن، أي مجرّد الدفاع. فإذا كان مجرّد الدفاع فلماذا يأخذون من أموال وممتلكات الطرف المقابل، وخصوصاً أنّ حرب الجمل كانت بين المسلمين الذين كانوا يصلّون ويصومون.

يجب على من يشعر في نفسه بالإنسانية أن ينقل هذه الأمور وينشرها، فإذا انتشرت الفضائل فبالنتيجة هناك من يعملون بها، وتكون الدنيا أقل مشاكل في المستقبل مما هي في الحاضر.

لردع الناس عن الرذائل

لو كان الناس المسملون يعملون بإسلام رسول الله وإسلام القرآن الكريم وإسلام العترة الطاهرة الذين أمر رسول الله ﷺ باتّباعهم، ما كنّا نشهد المشاكل التي تعيشها البشرية كلّها اليوم، وخصوصاً المسلمون في بلاد الإسلام. فمنذ أكثر من نصف قرن، وأنا أتذكّر حرباً بعد حرب، وحرباً بعد حرب، وانقلاباً عسكرياً بعد انقلاب، في البلاد الإسلامية مع شديد الأسف، وذلك لأنّ الفضائل لم تُنشر بالمقدار المناسب والكافي، لردع الناس عن الرذائل.

إذن، يجب على الجميع نشر ذلك، ليصل إلى الناس بالبلاغ المبين أي الواضح، حتى بهذه النسبة وبهذا المقدار تقلّ المشاكل في المستقبل، إن شاء الله تعالى.

وصلّى على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

الليلة السابعة والعشرون

صنيع الفاتح المنتصر

الإنسانية والنبل

بعد انتهاء حرب الجمل، ونصر الله عزّ وجلّ لمولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وانكسار أصحاب الجمل، فرّ جمع منهم ولجؤوا إلى بيوتهم في مدينة البصرة واختفوا، وهكذا رؤوساء الحرب. وجاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع مجموعة من أصحابه ودخل البصرة وهو فاتح ومنتصر. وكان قد قُتل جمع من أصحاب الإمام وكان هو عليه السلام في موقف الدفاع فلم يبدأ الحرب، بل قتل العدو من أصحاب الإمام وفعلها عدّة مرّات، وتريّث الإمام وما تعجّل حتى في الدفاع. ولكن الآن عليّ عليه السلام منتصر وفاتح ودخل البصرة. فيا ترى ماذا يصنع الفاتحون في منطق الحروب؟ وماذا صنع علي بن أبي طالب عليه السلام؟

كانت الفضيلة والإنسانية والنبل والخلق الرفيع، في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفي صنيعه.

دخل الإمام عليه السلام البصرة وعمل عدّة أمور، منها:

العفو العام عن المجرمين

الأول: خطب في اولئك الذين أجرموا وأثاروا الحرب وبدؤوها، وجاء في خطبته عليه السلام: أنّكم نكثتم بيعتي وظاهرتم على ذوي عداوتي. أي صرتم

ظهراً لمن عاداني كطلحة والزبير وأعنتموهم بالسلاح والمال وبالتشجيع وبكل شيء. ثم قال عليه السلام: فما ظنّكم بي؟ أي ماذا تتوقعون منّي وماذا أصنع بكم؟ فقالوا: نظنّ خيراً، فإن عاقبت فقد أجرمنا وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى الله. وتعني كلمة نظنّ بالعربية نعلم، والمقصود من كلامهم انّنا نعلم منك الخير فإن تعاقبنا فنحن نستحقّها لأنّنا أجرمنا، وقتلنا من أصحابك قبل الحرب وفي الحرب. فقال الإمام عليه السلام كلمة واحدة وهي: قد عفوت عنّكم!

عندما يتصفّح الإنسان تاريخ الحروب لا يجد إنسانية مثل الذي صدر من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو في ذلك الموقف. وقول الإمام عليه السلام قد عفوت عنكم هي كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله في فتح مكّة. فالمشركون في مكّة عارضوا رسول الله صلى الله عليه وآله عشرين سنة وأثاروا الحروب ضدّه، ولكن مع ذلك قال لهم صلى الله عليه وآله: اذهبوا فأنتم الطلقاء. وعليّ هو نفس رسول الله عليهما السلام. فالإمام قد أصدر العفو العام وانتهى كل شيء. فأين يوجد مثل هذا الصنيع في التاريخ ؟ فليتعلّم رؤوساء الحكومات من أمير المؤمنين عليه السلام، وخصوصاً الحكومات الإسلامية، وليعلموا انّ هذا هو الإسلام وما مثّله أمير المؤمنين وقبله مثّله رسول الله عليهما السلام.

مأساة الحروب بالبلاد الإسلامية

مع شديد الأسف، تبتدئ الحروب في البلاد الإسلامية، وتطول وتمتدّ ويذهب الألوف والألوف من المسلمين والمصلّين والصائمين، قتلى وجرحى. فلماذا لا يوجد العفو في منطق الحروب في البلاد الإسلامية؟ ألا يجدر بهم أن يتعلّموا من أمير المؤمنين ومن رسول الله عليهما السلام؟ فما صدر من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحاب الجمل في البصرة هو العقل والإنسانية والفضيلة.

القاسم بالسويّة

الأمر الثاني: كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يوزّع كل ما في بيت مال المسلمين من الأموال، حيث كان يبدأ أولاً بذوي الحاجات العامّة في البلاد الإسلامية، وللمحتاجين من المسلمين وغير المسلمين ممن يعيشون في بلاد الإسلام، وبعد ذلك يقسّم ما يبقى بالسويّة، أي ما يسمّى بالعطاء، فلا يبقي شيئاً من الأموال في بيت المال، وأحياناً كان عليه السلام يكنس بيت المال بيده. وأما بيت المال في البلاد الإسلامية، ومع شديد الأسف، تراه بأيدي من يسمّون أنفسهم بمسلمين وخلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو مملوءاً ومملوءاً. وعندما صار بيت المال في البصرة بيد طلحة والزبير ومن كان معهما، فقد امتلأ بالدنانير والدراهم لفترة قصيرة. فجاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى بيت مال البصرة وخاطب الدنانير والدراهم بقوله: ياصفراء ويابيضاء غرّي غيري. ثم أمر بأن يقسّم ما في بيت المال بالسويّة. وقد ورد في الزيارة المأثورة عن أئمة العصمة عليهم السلام بحقّ الإمام عليّ عليه السلام: القاسم بالسويّة. وهذا خاصّ برسول الله والإمام أمير المؤمنين عليهما السلام.

ثم أمر الإمام عليه السلام بأن يعطوا كل شخص خمسمئة درهم، ولم يزد لنفسه ولا لأولاده ولا لأهل بيته شيء أبداً.

لقد كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام رئيس البلاد الإسلامية كلّها والحاكم الأعلى لها، فيأخذ هو خمسمئة درهم كما أعطى لسائر الناس مثله أيضاً.

الإسلام الصحيح

أليست هذه مفردة فريدة في تاريخ البشرية؟ وأين تجد مثل هذا سوى عند رسول الله صلى الله عليه وآله؟

لذا، فليتعلّم رؤوساء الحكومات في البلاد الإسلامية من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فهذا هو الإسلام الصحيح. فرسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام هم الأعرف بالإسلام، وهكذا كانت سيرتهما وأسلوبهما. ولذا لما استشهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، خطب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وقال فيما قال عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ما ترك على ظهر الأرض صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمئة درهم فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله. ومن عطائه يعني من العطاء الذي يوزّع من بيت مال المسلمين على الجميع بالسويّة.

فريضة

إنّ سبب وجود الملايين من الفقراء، مع شديد الأسف، في عالم اليوم، هو عدم تطبيق سيرة رسول الله وسيرة أمير المؤمنين عليهما السلام. فلم ينقل في تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام فقير واحد بقى على فقره طول الحياة. ولهذا إن يتمّ تطبيق سيرة رسول الله وسيرة أمير المؤمنين عليهما السلام، فلا يبقى هناك فقير ولا جائع ولا من يموت من الجوع. وتبليغ هذه الثقافة، أي ثقافة رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام هي فريضة.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّق الجميع، وخصوصاً الشباب الغيارى، لقراءة هذه الثقافة وفهمها ونشرها، لعلّه في المستقبل يحملها بعض الأفراد ويعملون بها في شتّى أمورهم، وبالأخص في الحروب.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

الليلة الثامنة والعشرون

رجل الإنسانية

بعد حرب الجمل، وقعت حرب صفّين. ويوجد جزئيات هذه الحرب في كتب التواريخ وفي روايات أهل البيت عليهم السلام، وأنّه لماذا وقعت وأين وكيف، وما كان نتيجتها.

لا للحرب

لقد سجّلت حرب صفّين في مفردات عديدة، فضائل للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ورذائل لمعاوية وأصحابه. فقد خرج معاوية بجيشه من دمشق باتّجاه الكوفة، فخرج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من الكوفة التي جاء واستقرّ فيها بعد حرب الجمل، للدفاع. وفي حرب صفّين، نقاط كثيرة وكثيرة، سجّلت فضائل لأمير المؤمنين عليه السلام، وكل واحدة منها لا نظير لها في التاريخ، ومنها:

أعلن معاوية الحرب على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وحاول الإمام ولعدّة مرّات أن لا تقع الحرب. فكان الإمام يبعث الرسل إلى معاوية ويكتب له رسائل ويدعوه إلى عدم وقوع الحرب، لأن نتيجة الحرب هي القتلى والجرحى، ولا يريد الإمام أم يُقتل حتى شخص واحد ولا يجرح حتى شخص واحد. ويوجد في نهج البلاغة وفي كتب الحديث وكتب التواريخ، عدّة رسائل للإمام عليه السلام كان قد كتبها لمعاوية بخصوص عدم وقوع الحرب. وكذلك أرسل الإمام عليه السلام مجموعة في دفعة واحدة إلى معاوية وتكلّموا مع الأخير للإقلاع عن الحرب.

حرب صفيّن

وصل معاوية وجيشه إلى صفّين بالقرب من نهر الفرات. وتأخّر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الوصول إلى صفّين، لأنّه عليه السلام لم يجبر شخصاً واحداً لأن يأتي معه إلى الحرب، بل كان الإمام يستعمل الإقناع مع الناس بالاستناد إلى القرآن الكريم وأقوال رسول الله صلى الله عليه وآله لكي يلتحقوا مع الإمام في الحرب. ولا يذكر التاريخ عن الألوف والألوف الذين جاؤوا مع الإمام إلى صفّين للدفاع بأنّهم التحقوا بإجبارهم من قبل الإمام عليّ عليه السلام، أو انّ الإمام قد أكره حتى شخص واحد. وأمّا الذين تخلّفوا عن الإمام فهم كالذين تخلّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

رجل الإنسانية

بعد وصول معاوية لصفّين، قام أصحاب جيشه بمنع الماء عن أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث أوقفوا على الماء مجموعة كبيرة من الرماة وأمروهم برمي كل من يروم الوصول إلى الماء من أصحاب الإمام. فأمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه بالهجوم لكشف الماء والسيطرة عليه، فهجموا وسيطروا على الماء وفرّ أصحاب معاوية، وقالوا له إنّ الحرب قد انتهت لأنّنا لا يمكننا أن نحارب بلا ماء، وقد منعنا عليّاً وأصحابه من الماء. فقال معاوية أنا أعرف عليّاً، إنّه لا يصنع ذلك.

إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رجل الفضيلة والإنسانية، وليس لموقف الإمام نظير في تاريخ الحروب. فقد قال بعض الأصحاب للإمام انّ معاوية أرسل بعض أفراد جيشه ويريدون الماء، فأمر الإمام بالسماح لهم لأخذ الماء. فقال الأصحاب انّهم قبل ساعات كانوا قد منعونا من أخذ حتى قطرة واحدة من الماء، فلنعامل مثل معاملتهم لنا، فرفض الإمام عليه السلام، وقال نحن لا نحارب حتى نمنع الماء. ومثل هذا التعامل في تعامل رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً في الحروب

التي فرضت عليه. ففي إحدى الحروب قال بعض الأصحاب لرسول الله ﷺ انّهم يعرفون عين الماء الذي يستقي منه جيش الأعداء، فلنمنعه عليهم، فرفض رسول الله ﷺ. فرسول الله ﷺ رسول الإنسانية والرحمة والفضيلة.

رحمة الإمام بالعدوّ

قبل وقوع حرب صفّين، كتب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كتب متعدّدة إلى معاوية حتى لا تقع الحرب، وأرسل الإمام مجموعة من أصحابه إلى معاوية للأمر المذكور، فلم يؤثّر ذلك على عدم وقوع الحرب. وكان ممن أرسلهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام شابّ اسمه سعيد وأعطاه الإمام القرآن وقال له اذهب إلى معاوية وقل له انّ عليّاً يقول كما يقول به هذا القرآن أنا أعمل به، وأنت اعمل به أيضاً حتى لا تقع الحرب. فجاء سعيد إلى معاوية وأبلغ الأخير كلام الإمام، لكنّهم قتلوه. علماً انّ في منطق الحروب بالعالم لا يُقتل الرسول، ولكن معاوية لا يعتني بقوانين العالم، وكذلك أمثاله من بني أميّة وبني العباس. فوقعت الحرب بين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام دفاعاً، وبين معاوية هجوماً. وكما في الجمل، أعلن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفّين على أن لا يجهّزوا على جريح أي لا يقتلوا الجرحى من جيش معاوية، لكن الأخير كان قد أمر بقتل الجرحى من جيش الإمام وقتلوهم.

ليعرف العالم رذائل معاوية وأمثاله

ينبغي بل يجب، الإعلان عن فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفّين، وأن تصل إلى البشر والناس، حتى لعلّه بعض الأشخاص ممن يحملون الإنسانية والفضيلة في وجدانهم بنسبة، تقلّ المظالم في العالم.

ففي حرب صفّين توجد نقاط مشرقة كثيرة بالنسبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، في أقواله وفي أفعاله وفي تقريراته. وكذلك فيها نقاط كثيرة ملؤها الرذيلة في جانب معاوية وأصحابه.

لذا على الجميع، وبالخصوص الشباب الغيارى، أن يدرسوا حرب صفّين بكل جزئياتها وتفاصيلها ومقدّماتها ونتائجها وكل ما يرتبط بها، وكما هو الصحيح الموجود في التواريخ، ويعرضوا ذلك على البشر ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ﴾[1].

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

١. سورة النساء، الآية ١٦٥.

الليلة الأخيرة

جمال الإسلام

في إحدى الحروب المفروضة على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، عندما نصره الله عزّ وجلّ وخذل الأعداء وانكسروا، فرّ من الباقين منهم، وفي طريقهم صادفوا امرأة حامل، وعلى أثر اصطدامهم بها، سقطت المرأة بعنف على الأرض، فماتت هي ومات جنينها. وفي مثل هذه الحادثة على من تقع ومن يتحمّل دية المرأة الميتة ودية جنينها؟ فالذي قتلها هم الذين اصطدموا بها. ومن منطلق المسؤولية وكحاكم إسلامي، أمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأن تُعطى دية المرأة ودية جنينها لورثتها. علماً انّ الذين فرّوا واصطدموا بالمرأة لم يكونوا من أصحاب الإمام بل كانوا من الأعداء الذين جاؤوا لقتال الإمام، وكانوا يكفّرون الإمام ويسبّونه، وكانوا يبغون قتل شخص الإمام إن أمكنهم، ولكنهم لم يوفّقوا وخذلهم الله وانكسروا.

إمام المسلمين مسؤول عن كل شيء

كما في الأحاديث الشريفة، فإنّ إمام المسلمين هو المسؤول عن دية كل من قُتل ولم يعلم قاتله، ولا يمكن التعرّف على القاتل. ففي روايات عديدة عن رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، انّه: لا يُطلّ دم امرئ مسلم. أي لا يبطل دم المسلم. فلا يبطل دم تلك المرأة وجنينها، والمسؤولية على إمام المسلمين، لأنّ ما حدث للمرأة قد وقع في أرض الإسلام التي يحكمها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

نظير ذلك وقع في مدينة الكوفة أيّام حكومة الإمام عليّ عليه السلام، حيث دُهس شخص في الزحام، ومات تحت الأرجل، فأمر الإمام أن تعطى ديته من بيت المال. ففي منطق الإسلام وفي منطق الإمام، المسؤول عن كل هذه الأمور هو إمام المسلمين. وهذا من فضائل الإسلام الذي مثّله أحسن تمثيل رسول الله ونفسه الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام. ولكن هل رئيس الحكومة في الدنيا اليوم وقبلها وفي مختلف التواريخ الماضية، مسؤول عن دم من يُقتل ولا يعرف قاتله؟

أمر غريب

بل ذات مرّة، وفي أيّام حكومته، كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يسير مع جماعة في مكان ما، فرأى فقيراً يستعطي وكان كبير السنّ. فقال الإمام لمن حوله: ما هذا؟ ويعني: ما هذا الاستعطاء؟ ولعله كان لأوّل وآخر مرّة، يجد الإمام في حكومته من يستعطي، ويعني انّ هذا الأمر كان غريباً عند الإمام. أي كيف يوجد في بلد الإسلام جائع ليس له شيء ويحتاج إلى أن يستعطي لكي يعطوه شيئاً. فقال من كان حول الإمام: إنّه نصراني وكبير السنّ ولا يستطيع العمل ولا يملك مالاً.

إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل: من هذا؟ لأنّه شيء غريب في منطق الإمام أن يكون هذا الرجل من المسلمين أو غير مسلم، فالمهم عند الإمام عليه السلام هو أنّه كيف يوجد في بلد الإسلام الذي يحكمه الإمام، شخص لا يملك لقمة عيش. علماً أنّه كان يوجد فقراء في بلد الإسلام ولكنهم لم يبقوا على فقرهم، بل كانوا يُكفون من بيت المال ومن الصدقات وغيرها. فعاتب

الإمام عليه السلام من حوله وقال: استعملتموه، حتى إذا كبر تركتموه؟! ففي البلد الإسلامي يجب أن لا يكون مثل هذا الشخص الذي لا مال عنده ولا يمكنه أن يسدّ جوعه. وهذا هو منطق الإسلام.

ثم أمر أمير المؤمنين عليه السلام للشخص من بيت المال شيئاً يناسبه ويعيش به.

المسلمون والبشرية يجهلون فضائل الإسلام

هذه هي فضائل الإسلام، التي مثّلها رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام. وهذه النوادر من الفضائل لا يعرفها إلاّ القليل من الناس، ويجهلها ولا يعلمها معظم الناس ومعظم البشرية، ولعله لا يعلمها حتى من شباب المسلمين. ومسؤولية تعريف هذه الفضائل هي على الجميع، وعلى كل من يستطيع أن ينشر فضائل الإسلام، وهي فضائل لا تختصّ بالأحياء فقط، بل حتى الأموات، ومنها:

إذا مات شخص، وكان مديوناً ولم يخلف مالاً ليُعطى دَينه أو خلّف مالاً أقل من دينه، فالمسؤول عن دَينه هو إمام المسلمين. وفي بعض الأحاديث الشريفة انّه إذا لم يعطي إمام المسلمين هذا الدَين كان عليه إثمه. وأوّل من أعلن ذلك هو رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث قال: من مات وترك دَيناً أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ. وضياعاً يعني عائلة ليس لهم معين أو انّ الميّت لم يترك لها مالاً تعيش به، أي فقيرة. و(إليَّ) يعني على الدائن أن يأتيني ولا يذهب لورثة المديون، لأنّه لا يجب على الورثة أن يؤدّوا دين المديون من مالهم الخاصّ، إلاّ إذا كان الميّت قد خلف مالاً فيؤدّى دينه منه. و(عليَّ) يعني أنا إمام المسلمين مسؤول عن ذلك وبذمّتي.

المسؤولية العينية

بعد فتح مكّة المكرّمة من قبل رسول الله ﷺ، صار الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، كما ذكر القرآن الكريم، وكان من أحد أسباب هذا الأمر هو إعلان رسول الله ﷺ الذي مرّ ذكره أعلاه. وهذه الفضائل، إذا تطبّق في أي نقطة من نقاط العالم، سترى دخول الناس في دين الإسلام أفواجاً، ومن الأحرى أن تطبّق هذه الفضائل في البلاد الإسلامية أولاً.

إذن، يجب على الجميع، كواجب عيني، حيث ليس من فيه الكفاية، لا في البلاد الإسلامية ولا في العالم، يجب نشر الإسلام ونشر هذه المفردات المهمّة من الإسلام التي تجذب الناس إلى الإسلام، وهي ليست بالآحاد ولا بالعشرات ولا بالمئات، بل هي بالألوف والألوف.

أسأل الله تعالى أن يوفّق الجميع لذلك.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين

الفهرس

المقدّمة ٥

الليلة الأولى: معرفة الفرائض والعمل بها

النيّة للعمل ١١
فرائض الشهر ١٢
لنعظ أنفسنا بأنفسنا ١٣
المفروضات على الرجل والمرأة ١٣
المفروضات على الجميع ١٤
الإعانة للمورد اللائق والمناسب ١٤
معرفة الفرائض ١٥
ما يمنع قبول الصيام ١٥
كنز من الفضائل ١٦
التأمّل بقراءة الأدعية ١٧

الليلة الثانية: الصوم الرفيع

مراتب قبول الصيام ٢١
ملكة ترك المحرّمات والمكروهات ٢٢
الصوم الرفيع ٢٣
لتنبيه الناس ٢٣
يجب صوم الجوارح ٢٤
دقّة الإسلام في حقوق الناس ٢٥

الليلة الثالثة: دين الحرية والاختيار

أساس الحريّة في الإسلام ٢٩
الامتحان بالاختيار لا الجبر ٢٩
النبيّ جعل الناس أحراراً ٣٠
نموذج من عدم الإكراه ٣٠
دين الحريّة والاختيار ٣١
عرض الإسلام بالبلاغ والإقناع ٣٢

الليلة الرابعة: قصّة عديمة النظير

قصّة عديمة النظير ٣٥
محاولة اغتيال النبيّ ٣٦
العفو عن مدبّر الاغتيال ٣٧
عدو لدود مشرك ينقلب إلى مسلم ٣٨
من معاجز أخلاق النبيّ ٣٨
مسؤولية إعلاميّة ٣٨

الليلة الخامسة: الفضيلة العظمى

وجوب نشر فضائل النبيّ ٤١
النبيّ يستعير من المشرك! ٤١
الفرق بين الأمانة والعاريّة ٤٢
من قوانين الإسلام ٤٣
في التعامل مع المشرك الحربي ٤٣
من ويلات الثورات والانقلابات ٤٤
فضيلة عظمى بلا نظير ٤٤
وجوب نشر فضائل النبيّ ٤٥

الليلة السادسة: الثقافة العظيمة

ألدّ الأعداء ٤٩
التعامل بالفضيلة في الحرب ٥٠
لا للمثلة في الإسلام ٥١
قلب العدو المشرك إلى مسلم ٥١
الخلق العظيم ٥٢
الثقافة العظيمة ٥٣

الليلة السابعة: مؤسس الرحمة والعفو والإنسانية بالحرب

مؤسّس الحروب ضدّ النبي ٥٧
العفو عن رأس العداء ٥٧
لهذا دخلوا الدين أفواجاً ٥٨
ولهذا تقدّم الإسلام وانتشر ٥٩

من جرائم المتوكّل ٥٩
ثقافة الرحمة والعفو والإنسانية ٦٠

الليلة الثامنة: التاريخ الفضيل الفريد

شاعر عدوّ ومحارب ٦٣
العفو عن العدو المحارب ٦٣
إغراء لنكث العهود ٦٤
تاريخ أسود ٦٤
سبب انحسار الإسلام ٦٥
التاريخ الفضيل ٦٦

الليلة التاسعة: زيف الفتوحات الإسلامية

ملاك الحريّة بالإسلام ٧١
حقيقة الفتح الإسلامي ٧١
زيف الفتوحات المسمّاة بالإسلامية ٧٢
من جرائم الفتوحات الزائفة ٧٢
التمييز بين الفتح الحقيقي والزائف ٧٣
الرحمة والرفق بالفتح الحقيقي ٧٣
الواجب اليوم ٧٤

الليلة العاشرة: عظيمة هي خديجة وعظيمة

لا نظير لخديجة ٧٧
أوّل مسلمة ٧٨
الناصرة بأموالها ٧٨
عظيمة هي وعظيمة ٧٩
ينبغي إحياء ذكرى وفاتها ٨٠

الليلة الحادية عشرة: خديجة أسوة المعالي

المحترمة عند الجميع ٨٣
الناصرة المضحيّة ٨٣
يلومونها لتضحيتها ٨٤
قاطعوها لزواجها من النبيّ ٨٤

أسوة المعالي ٨٥

الليلة الثانية عشرة: في الإسلام لايُقتل الجاسوس!

من مفاخر النبيّ ٨٩
قصّة جاسوس وجاسوسة ٩٠
النبيّ يكشف التجسّس ٩١
العفو عن الجاسوس! ٩٢
الملاك في الإسلام ٩٢
نظام فيه سعادة البشرية ٩٣

الليلة الثالثة عشرة: درس للحكّام

شروط بيعة النساء ٩٧
عائلة .. عدوّ كلّها ٩٨
جواب الأحمق! ٩٨
درس للحكّام كافّة ٩٩
آكلة الأكباد ١٠٠
لكي ينجو العالم من المشاكل ١٠٠

الليلة الرابعة عشرة: العفو عن المعارضة المجرمة والحربي

العفو عن الحربيين المجرمين ١٠٣
الرحمة للجميع ١٠٤
العفو العام ١٠٥
الإسلام الصحيح ١٠٦

الليلة الخامسة عشرة: أسلوبان متناقضان

بنود مهمّة ١٠٩
رذائل معاوية ١١٠
أسلوب الإنسانية والرحمة والأخلاق ١١١
ما يجب القيام به ١١٢

الليلة السادسة عشرة: المنطق الحق

المنطق الحقّ ١١٥
المنطق الظالم ١١٦

من جرائم معاوية ١١٧
ليعرفهما العالم ١١٧

الليلة السابعة عشرة: المصيبة العظمى الشاملة

مصيبة عظمى شاملة ١٢١
من مفاخر عليّ ١٢٢
العطاء في الإسلام ١٢٣
القاسم بالسويّة ١٢٤
وظيفة إلهية ١٢٤

الليلة الثامنة عشرة: وجوب تبليغ التولّي والتبَري

الشرّ العظيم ١٢٩
هكذا هو الحاكم الإسلامي الحقّ ١٣٠
حلم الحاكم الأعلى ١٣١
لتتعلّم الحكومات من الإمام عليّ ١٣١

الليلة الرابعة والعشرون: من جنايات الخلفاء

ما حلّ بالأمّة ١٣٥
من جنايات معاوية ١٣٥
أكل بعضهم بعضاً! ١٣٦
وجوب إسلامي إنساني وجداني ١٣٦
من أفعال شرار الأمّة ١٣٧
رحمة الإسلام ١٣٨
لنصرة النبيّ والإمام ١٣٨

الليلة الخامسة والعشرون: أصحاب الغدر

أصحاب الغدر ١٤٣
وسام الشيعة ١٤٤
الحرب الغادرة ١٤٤
الإسلام لا يريد القتل ١٤٥
لتتمّ البيّنة على العالم ١٤٦

الليلة السادسة والعشرون: منطق الإسلام في الحرب

من روائع التعامل مع المنهزم بالحرب ١٤٩
لا يُقتل الجريح ١٥٠
لا يُعقّب المنهزم ١٥٠
إرجاع أموال خاسر الحرب ١٥٠
نبل لا نظير له ١٥١
لردع الناس عن الرذائل ١٥٢

الليلة السابعة والعشرون: صنيع الفاتح المنتصر

الإنسانية والنبل ١٥٥
العفو العام عن المجرمين ١٥٥
مأساة الحروب بالبلاد الإسلامية ١٥٦
القاسم بالسويّة ١٥٧
الإسلام الصحيح ١٥٧
فريضة ١٥٨

الليلة الثامنة والعشرون: رجل الإنسانية

لا للحرب ١٦١
حرب صفيّن ١٦٢
رجل الإنسانية ١٦٢
رحمة الإمام بالعدوّ ١٦٣
ليعرف العالم رذائل معاوية وأمثاله ١٦٣

الليلة الأخيرة: جمال الإسلام

إمام المسلمين مسؤول عن كل شيء ١٦٧
أمر غريب ١٦٨
المسلمون والبشرية يجهلون فضائل الإسلام ١٦٩
المسؤولية العينية ١٧٠